الفصل الثاني

نقد المتن عند الحافظ الذهبي

الحافظ الذهبي من جهابذة المحدثين ، وممن لهم الإقدام في ميدان النقد ، مع الورع والديانة ، والتثبت والإتقان ، ونقد متن الحديث الشريف لا يتطرق إليه كل أحد ، أو يتطلع إليه كل محدث ، فالأمر شاق ، ودون الحكم على متن حديث أو أثر دراسات ودراسات ، فاضطلع بذلك الحافظ الذهبي ، وأدى ضريبته من وقته وجهده ، دفاعًا عن السنة وذودًا عن حياضها .

وقد اهتم الحافظ الذهبي بالنقد الإيجابي للنص ؛ إذ النقد بمفهومه العام لا يقف عند ذكر العيوب أو الأخطاء ، أو على حدود الزلات والأوهام ، فشرح الغريب ، وأبان مراد الحديث ، ودفع التعارض ، ودافع عن صحاح الأخبار .

واعتنى كذلك بالنقد السلبي ، مبينًا دلائل ضعف المتن ، من معارضة للصحيح ومخالفة التاريخ ، والركاكة والطول ، ومشابهة أقوال القصاص والطرقية ، وخلاف المعقول ، ومباينة المعهود إلى غير ذلك من الدلائل ، كخلاف مقام التنزيه وخلاف المعلوم عن الراوي ، وتكليف ما لا يطاق ، وشهادة الإسناد .

وأبرز الحافظ الذهبي أثر الوهم في ضبط متن الحديث الشريف ، وكيف تأثرت روايات المتون بطرق التحمل وأساليب الأداء ، وعدَّد مظاهر الوهم كرفع موقوف ، وإقرار وزيادة غير ثابتة ، أو تصحيف وإدراج ، ووهم في أعلام المتن .

وللحافظ الذهبي اهتمام بدرجات تضعيف المتن ؛ إذ الضعيف درجات : منها ما يصلح للتقوية بالمتابعات والشواهد ، ومنها ما لا تنفع معه حيلة ، ولا تجبره وسيلة .

وقد عبر الذهبي في نقده للمرويات بعبارات متعددة بحسب ما ينقدح له من دراسة ذلك المتن بميزان قسط ومقياس عدل ، وهو إذا يورد هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة في مصنفاته ، فإنما يوردها للكشف عن حالها وبيان وهنها والتحذير منها .

● **النقد الإيجابي للنص**

لا يعني النقد الوقوف على مظاهر الضعف فقط ، وإنما ذلك نوع من أنواعه ، فالناقد لا ينفك عن القيام بعمليتي هدم وبناء ، ولا يحسن أن ننظر إليه على أنه ذلك الباحث عن الأوهام ، أو المظهر للعورات فحسب ، بل يقوم الناقد أيضًا بدور إيجابي نحو النص إذا ثبت لديه صحته ، بيانًا إذا أبهم ، ودفعًا لتعارض ظاهري ، ودفاعًا عن شبهات تحيط به ، إلى غير ذلك من طرائق النقد الإيجابي .

وما قيام المحدثين بجهود كبيرة في شروح الحديث ، وكشف شبهات الزائغين عن صحيحه ، وتأويل مختلف الحديث ومشكله ، والجمع بين النصوص أو الترجيح بينها إلا لونًا من ألوان النقد الإيجابي الذي عني به المحدثون والنقاد ، ومن مظاهر ذلك عند الحافظ الذهبي :

١- شرح المتن :

ذكر الحافظ الذهبي حديث : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً ينفقه في الحق ، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار** » ، قال الذهبي : « فالحسد هنا معناه الغبطة : أن تحسد أخاك على ما آتاه الله ، لا أنك تحسده بمعنى أن تود زوال ذلك عنه ، فهذا بغي وخبث »[(١)] .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها : « **لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منها سعد** » ، قال الذهبي : « وليس هذا الضغط من عذاب القبر في شيء ، بل هو من روعات المؤمن كنزع روحه ، وكألمه من بكاء حميمه ، وكروعته من هجوم ملكي الامتحان عليه ، وكروعته يوم الموقف ، وساعة ورود جهنم ونحو ذلك »[(٢)] ، ثم قال في موضع آخر : « ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله ، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه »[(٣)] .

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **والله لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله ، وأكرمها على الله ، ولولا أن قومي أخرجوني ما خرجت** » ، قال الذهبي : « معنى قوله : أخرجوني : أحوجوني إلى الخروج لتبليغ الوحي »[(٤)] .

---

(١) الذهبي ، السير (٨/٤٣٧).
(٢) الذهبي ، التاريخ (٢/٣٢٦).
(٣) الذهبي ، السير (١/٢٩٠ ، ٢٩١).
(٤) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٦/١٨٢).

وفي حديث سعد بن عبدة : «لو وجدت مع امرأتي رجلاً لم أمسه حتى آتي بأربعة شهود؟!» وفيه :«**اسمعوا إلى ما يقول سيدكم ، إنه غيور وأنا أغير منه ، والله أغير مني**» .

قال الذهبي : «يعني ومع غيرة الله ورسوله فلا بد من أربعة ، ولا ينتفي من حملها إلا باللعان ، ولا يجوز له التعرض لقتلهما»[(١)].

وفي حديث النبي ﷺ لأبي ذر : «يا أبا ذر أراك ضعيفًا ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمرن على اثنين ، ولا تولين مال يتيم» ، قال الذهبي : «فهذا محمول على ضعف الرأي ، فإنه لو ولي مال يتيم لأنفقه كله في سبيل الخير ، ولترك اليتيم فقيرًا . . . والذي يتأمر على الناس ، يريد أن يكون فيه حلم ومداراة ، وأبو ذر ﷺ كان فيه حدة ، فنصحه النبي ﷺ»[(٢)].

وفي حديث عثمان ﷺ مرفوعًا : «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**» . قال الذهبي : «يدخل الجنة على ما كان منه من خير وشر ، وعلى ما يتم عليه من تعذيب وعفو»[(٣)].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها وكانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها فقالت : «إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثًا ، ادفنوني مع أزواجه» ، فدفنت بالبقيع رضي الله عنها ، قال الذهبي : «تعني بالحدث مسيرها يوم الجمل ، فإنها ندمت ندامة كلية ، وتابت من ذلك ، على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة ، قاصدة للخير ، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وجماعة من الكبار»[(٤)].

ومن حديث عبد الله بن مغفل مرفوعًا : «**لا يبولن أحدكم في مستحمه ، ثم يتوضأ منه فإن عامة الوسواس منه**» ، قال الذهبي : «مراده بالوسواس أن يصيبه مس من الجان ، ومنه سمي المسرف في الماء موسوسًا ، شبه بالمجنون»[(٥)].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى» .

---

(١) الذهبي ، مهذب السنن [٥/ق٢٦٣-ب] .

(٢) الذهبي ، السير (٢/٧٥).

(٣) المصدر السابق (١٦/٢٨٧).

(٤) المصدر السابق (٢/١٩٣).

(٥) المصدر السابق (٦/٢٧٥).

قال الذهبي : «معناه : لا تشد الرحال إلى مسجدٍ ابتغاء الأجر سوى المساجد الثلاثة فإن لها فضلاً خاصًا»[١].

وفي حديث ابن عمران أن رجلاً أتى امرأته في دبرها ، فوجد في نفسه من ذلك وجدًا شديدًا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة:٢٢٣) ، قال الذهبي : «يعني أتاها في فرجها وظهرها إليه»[٢]

٢- الاستنباط من النص :

قد يحمل المتن معنى ظاهرًا ، فيشرحه الشراح ، وتظل معانٍ أخرى متضمنة في المتن بحاجة إلى الاستنباط ، فيقوم بذلك النقد الإيجابي للنص .

ومن ذلك حديث : «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» ، قال الذهبي : «ويفهم من الحديث المذكور عنه ﷺ تعظيم حق الجار ، من الإحسان إليه وإكرامه ، وعدم الأذى له ، وإنما جاء الحديث في هذا الأسلوب للمبالغة في حفظ حقوق الجار وعدم الإساءة إليه»[٣].

وفي حديث أبي هريرة مرفوعًا : «**ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان**» ، قال الذهبي : «فيه دليل على أن هذه الخصال من كبار الذنوب»[٤].

وقال عبد الله بن بكر : «أخبرتني أختي قالت : كان أبوك ـ بكر بن عبد الله المزني ـ قد جعل على نفسه ألا يسمع رجلين يتنازعان في القدر إلا قام فصلى ركعتين» .

قال الذهبي : « هذا يدل على أن البصرة كانت تغلي في ذلك الوقت بالقدر ، وإلا فلو جعل الفقيه اليوم على نفسه ذلك ؛ لأوشك أن يبقى السنة والسنتين لا يسمع متنازعين في القدر ولله الحمد»[٥].

٣- تصويب فهم :

قد يفهم البعض من المتن غير مراده ، وتكون العجلة أو التسرع سببًا في ذلك ويفتح الله تعالى على من يبين حقيقة المراد من ذلك المتن ، دفاعًا عن المتن أن يظن به ريبة أو بقائله شبهة :

---

(١) الذهبي ، السير (٣٦٨/٩).
(٢) الذهبي ، التاريخ (٣٣١/١٤).
(٣) الذهبي ، حق الجار ص٢٤
(٤) الذهبي ، السير (٢٢٠/٤).
(٥) المصدر السابق (٥٣٢/٤ ، ٥٣٣).

فقد فهم البعض من قول النبي ﷺ : «**أرأيتم ليلتكم هذه ، فإنه ليس من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة**» أنه لا يُعَمر أحد من الأمة أكثر من ذلك ، ولكن الحافظ الذهبي وجه ذلك المتن بأنه خاص بمن قال لهم النبي ﷺ ذلك ، أما تعميم ذلك وإنكار حدوثه استنادًا لهذا الحديث قال الذهبي : «وهذا لاينهض ، فإن الرسول ﷺ لم يقله ، ولا هو داخل في عموم نصه ، وقد جزمنا بوجود من جاوز المائة بعد ذلك من أمته»[(١)].

ومن ذلك حديث علي : «أنه لعهد رسول الله ﷺ إليَّ : لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» ، قال الذهبي : «فمعناه أن حب علي من الإيمان ، وبغضه من النفاق ، فالإيمان ذو شعب ، وكذلك النفاق يتشعب ، فلا يقول عاقل : إن مجرد حبه يصير الرجل مؤمنًا مطلقًا ، ولا بمجرد بغضه يصير به الموحد منافقًا خالصًا ، فمن أحبه وأبغض أبا بكر ، كان في منزلة من أبغضه وأحب أبا بكر ، فبغضهما ضلال ونفاق ، وحبهما هدًى وإيمان»[(٢)].

ومن ذلك حديث : «**إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد** ـ يعني للأمة ـ **أمر دينها**» قال الذهبي : «والذي أعتقده من الحديث أن لفظ من يجدد للجمع لا للمفرد»[(٣)]. وقال في موضع آخر : «وإن جعلت «من يجدد» لفظًا يصدق على جماعة ـ وهو أقوى ـ فيكون على رأس المائة عمر بن عبد العزيز خليفة الوقت ، والقاسم بن محمد والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين وأبو قلابة وطائفة ، وعلى رأس المائتين مع الشافعي يزيد بن هارون ، وأبو داود الطيالسي وأشهب الفقيه وعدة ، وعلى رأس الثلاثمائة مع ابن سريج أبو عبد الرحمن النسائي والحسن بن سفيان وطائفة»[(٤)].

ومن ذلك حديث أبي هريرة مرفوعًا : «**يضرب الناس أكباد الإبل ، فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم أهل المدينة**» ومع محاولة تخصيص ذلك المتن

---

(١) الذهبي ، أهل المائة ص٢٥ ، ٢٦ ، تحقيق عبد الله الكندري ، دار ابن حزم ، ط . ١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

(٢) الذهبي ، السير (١٢/٥١٠).

(٣) الذهبي ، التاريخ (٢٣/١٧٩ ، ١٨٠).

(٤) الذهبي ، السير (١٤/٢٠٢ ، ٢٠٣).

بأن المراد به الإمام مالك رحمه الله ، فإن للحافظ الذهبي رؤية في توجيه ذلك المتن بما يؤلف بين الآراء قائلاً : «هذا الخبر منطبق على من اتصف بأنه عالم زمانه ، وهو سعيد بن المسيب في وقته ، ومالك بن أنس في وقته»[١].

وقال في موضع آخر : «كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله ﷺ ، وصاحبيه زيد بن ثابت وعائشة ثم ابن عمر ، ثم سعيد بن المسيب ثم الزهري ، ثم عبيد الله بن عمر ، ثم مالك»[٢].

ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه لعلي والعباس : «فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك ، وجاء هذا يطلب ميراث امرأته» ، ففهم بعض الرواة من لفظ عمر رضي الله عنه سوء أدب مع رسول الله ﷺ فقال عبد الرزاق : «.... ولا يقول رسول الله ﷺ».

قال الذهبي : «هذه عظيمة ، وما فهم قول أمير المؤمنين عمر ، فإنك يا هذا لو سكت لكان أولى بك ، فإن عمر إنما كان في مقام تبيين العمومة والبنوة ، وإلا فعمر رضي الله عنه أعلم بحق المصطفى وبتوقيره وتعظيمه من كل متحذلق متنطع»[٣].

وجاء من حديث ابن عمر : «كانت امرأة عمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة فقيل لها : لما تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت : فما يمنعه أن ينهاني؟ قال : يمنعه قول رسول ﷺ : **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**» ، قال الذهبي : «ما أظن بعمر رضي الله عنه أن يكره شيئًا مشروعًا أبدًا ، إلا أن تكون كراهية طبعية ، كإسباغ الوضوء على المكاره»[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : تمتع رسول الله ﷺ ، فقال عروة : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة . . . قال ابن عباس : أراهم سيهلكون ، أقول : قال رسول الله ، ويقولون : قال أبو بكر وعمر ، قال الذهبي : «ما قصد عروة معارضة النبي ﷺ بهما ، بل رأى أنهما ما نهيا عن المتعة ، إلا وقد اطلعا على ناسخ»[٥].

ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه : «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح» ، قال الذهبي : «مراد عمر رضي الله عنه : أهل أرض زمانه»[٦].

---

(١) الذهبي ، التاريخ (١٢/٢١٢).
(٢) الذهبي ، السير (٨/٥٦ ، ٥٧).
(٣) المصدر السابق (٩/٥٧٢ ، ٥٧٣).
(٤) الذهبي ، مهذب السنن [٢/ق٧٧-أ] .
(٥) الذهبي ، السير (١٥/٢٤٣).
(٦) المصدر السابق (٨/٤٥٠).

ومن ذلك ما نسب إلى شريك : «علي خير البشر ، فمن أبى فقد كفر» ، قال الذهبي : «بعض الكذابين يرويه مرفوعًا ، ولا ريب أن هذا ليس على ظاهره ، فإن شريكًا لا يعتقد قطعًا أن عليًا خير من الأنبياء»[(١)] ، وقال في موضع آخر : «يعني خير بشر زمانه ، وأما خيرهم مطلقًا ، فهذا لا يقوله مسلم» ، وبين رحمه الله أن ذلك لم يثبت عن شريك[(٢)].

٤- غريب اللغة :

الحافظ الذهبي عندما يتناول المتن في نقده الإيجابي يحاول أن يزيل ما اكتنفه من غموض أو سوء فهم ، وأن يستخرج منه درر المعاني المكنونة في ألفاظه الشريفة ، وهو كذلك يجلي ماخفي من غريب ألفاظ الحديث النبوي لأداء رسالة البلاغ عن النبي ﷺ وبيان مراده ، والذهبي رحمه الله يستصحب معه كثيرًا بيان معنى غريب حديث النبي ﷺ في مصنفاته المتعددة ، ومن ذلك :

الزرافات	الجماعات	تاريخ الإسلام (٣٢٣/٥)
السهوة	كالمجلس والصفة في البيت	الكبائر ص ١٢٨
الصعل	صغر الرأس	سير أعلام النبلاء (٩٤/٤)
العذار	الختان	ميزان الاعتدال (١٧٩/٢)
القطري	ضرب من البرود	مهذب السنن [٣/ق١٢-ب]
الطنفسة	نحو السجادة	العجم المختص بالمحدثين ص٣٧
التوله	نوع من السحر ، وهو تحبيب المرأة إلى زوجها	الكبائر ص٤٦

٥- دفع التعارض عن المتن :

ومن جهود الحافظ الذهبي رحمه الله دفع التعارض عن المتون ، فقد تأتي النصوص وقد تعارضت في الظاهر ، غير أن توجيه النصوص أو الجمع بينها يزيل كثيرًا من ذلك التعارض .

فمن ذلك ما جاء عن النبي ﷺ:«أنه دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر»، وجاء عن جابر بن عبد الله «أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح ، وعليه عمامة سوداء» .

---

(١) الذهبي ، الميزان (٢٧١/٢ ، ٢٧٢).

(٢) الذهبي ، السير (٢٠٥/٨).

قال الذهبي :« لعل تحت الخوذة ؛ فإنه دخل يوم الفتح وعلى رأسه المغفر »[١].

ومن ذلك عدد الكبائر ، فقد روي عن النبي ﷺ :« **اجتنبوا السبع الموبقات** »، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما :« هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع ».

وقال رسول الله ﷺ : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : **الشرك بالله وعقوق الوالدين** ، وكان متكئًا فجلس ، فقال : **ألا وقول الزور** » ، قال الذهبي :« فبين عليه الصلاة والسلام أن قول الزور من أكبر الكبائر ، وليس له ذكر في السبع الموبقات ، وكذلك العقوق »[٢].

فجمع الحافظ بين ذلك بأن « الحديث ما فيه حصر الكبائر »[٣].

وفي حكم تارك الصلاة ذكر الحافظ الذهبي نصوص الوعيد في شأن تارك الصلاة وعارض ذلك بقول النبي ﷺ لمعاذ : « **ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار** » ، ثم قال : « فمؤخر الصلاة عن وقتها صاحب كبيرة ، وتاركها بالكلية ـ أعني الصلاة الواحدة ـ كمن زنى وسرق ؛ لأن ترك كل صلاة أو تفويتها كبيرة ، فإن فعل ذلك مرات كان من أهل الكبائر ، إلا أن يتوب ، فإن لازم ترك الصلاة فهو من الأخسرين الأشقياء المجرمين »[٤].

ففرق الحافظ بين من أخر الصلاة أو تهاون في بعضها ، وعده من أصحاب الكبائر ، وبين من تركها بالكلية فجعله من المجرمين ، وتورع عن ذكر الكفر .

ومن ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما : « ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم» وجاء عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا : « **إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم** ، فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم» ، قال الذهبي : « ويحمل قول ابن عباس : « إن النبي ﷺ ما قرأ على الجن ولا رآهم» يعني أول ما سمعت الجن القرآن ، ثم إن داعي الجن أتى النبي ﷺ كما في خبر ابن مسعود »[٥].

---

(١) الذهبي ، التاريخ (١/٤٩٢).

(٢) الذهبي ، الكبائر ص٣٧ . تحقيق بسام عبد الوهاب ، دار ابن حزم ، ط . ٣ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

(٣) المصدر السابق ص٣٦ .

(٤) المصدر السابق ص٥١ .

(٥) الذهبي ، التاريخ (١/١٩٨ ، ١٩٩).

ومن ذلك الاختلاف في عدد شهداء المسلمين في غزوة أحد فجاء أنهم سبعون وجاء سبعة وأربعون ، قال الذهبي : «قول من قال سبعين أصح ، ويحمل قول أصحاب المغازي هذا على عدد من عرف اسمه من الشهداء ، فإنهم عدوا أسماء الشهداء بأنسابهم»(١).

وعارض البعض حديث «**الماء من الماء**» بحديث «**إذا مس الختان الختان**» فأقرهما الذهبي ، وقال عن حديث «**الماء من الماء**» ، «هذا إسناد صحيح ، لكن نسخ ذلك»(٢).

وفي حديث عقبة : «أهدي لرسول الله ﷺ فروج حرير ، فلبسه ثم صلى فيه ، ثم انصرف فنزعه ...» وذلك يتعارض مع تحريم الحرير على الرجال ، قال الذهبي : «إنما لبسه عليه السلام قبل أن يحرم ، فلما فرغ من صلاته ونزل تحريمه نزعه ، أو شرعت حينئذٍ الكراهية للحرير ثم بعد حرم»(٣).

٦- الدفاع عن المتن الصحيح :

إذا كانت صيانة حديث رسول الله ﷺ تقتضي تضعيف الرواة والخوض في المتون ، فليس الدفاع عن صحيح حديث رسول الله ﷺ أقل صيانة له وإحاطة بهديه ، واسترشاداً بنهجه ﷺ ، ولذا فالحافظ الذهبي رحمه الله يدافع عن المتون الصحيحة كما يحارب المتون الدخيلة والموضوعة .

فقد روى البخاري من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال : «رأيت رسول الله ﷺ ، وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر» وقد يستشكل ذلك مع تقدم إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فيجيب الذهبي : «ولم يذكر عليًّا ؛ لأنه كان صغيراً ابن عشر سنين»(٤).

وروي في وفاة النبي ﷺ موته على رأس ستين سنة ، وجاء عن أنس رضي الله عنه : «قبض النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة» ، قال الذهبي : «قوله في الأول على رأس ستين سنة ، على سبيل حذف الكسور القليلة ، لا على سبيل التحرير ، ومثله موجود في كثير من كلام العرب»(٥).

---

(١) الذهبي ، التاريخ (٢/٢٠٠).
(٢) المصدر السابق (١/١٤٠).
(٣) المصدر السابق (١/٥٧٢).
(٤) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (٣/٨١٢).
(٥) مهذب السنن [١/ق٢٨٤-ب] .

ومن ذلك ما جاء في كتابة النبي ﷺ اسمه الشريف «محمد رسول الله» يوم صلح الحديبية ؛ إذ امتنع علي ﷺ من أن يمحو لفظ رسول الله .

وإن كان البعض يرى في ذلك تعارضًا مع كونه أميًّا كما وصفه القرآن الكريم ، وقالوا بعدم جواز كتابته حسمًا للنزاع ، إذ لو كتب لارتاب المبطلون .

قال الذهبي : «يجوز على النبي ﷺ أن يكتب اسمه ليس إلا ، ولا يخرج بذلك عن كونه أميًّا ، وما من كتب اسمه من الأمراء والولاة إدمانًا للعلامة يعد كاتبًا ، فالحكم للغالب لا لما ندر . وقد كان سيد الأذكياء ، ويبعد في العادة أن الذكي يملي الوحي وكتب الملوك وغير ذلك على كتابه ، ويرى اسمه الشريف في خاتمه ، ولا يعرف هيئة ذلك ، ولا يخرج بذلك عن أميته ، وبعض العلماء عَدَّ ما كتبه يوم الحديبية من معجزاته ، لكونه لا يعرف الكتابة وكتب»[(١)].

وبين الحافظ الذهبي رحمه الله أن الحكم للغالب ، وأن ما وقع اتفاقًا أو على سبيل الندرة لا حكم له ، فالنبي ﷺ منزه عن قول الشعر ، والنبي ﷺ «ما قال الشعر مع كثرته وجودته في قريش ، وجريان قرائحهم به ، وقد يقع شيء نادر في كلامه عليه السلام موزونًا ، فما صار بذلك شاعرًا قط ، كقوله :

أنـــا النبـــي لا كـــذب . . . أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

وقوله :

هـــل أنـــت إلا إصـــبع دميـــت وفـــي ســـبيل الله مـــا لقيـــت

ومثل هذا قد يقع في كتب الفقه والطب وغير ذلك مما يقع اتفاقًا ، ولا يقصده المؤلف»[(٢)].

ومن ذلك حديث أبي هريرة ﷺ : «**من غسل ميتًا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ**» .

قال البيهقي : «الصحيح الموقوف ، والمرفوعات غير قوية» ، قال الذهبي : «بل هي غير بعيدة من القوة إذا ضم بعضها إلى بعض ، وهي أقوى من أحاديث القلتين ، وأقوى من أحاديث «**الأرض مسجد إلا المقبرة والحمام**» إلى غير ذلك مما احتج بأشباهه الفقهاء»[(٣)].

---

(١) الذهبي ، السير (١٨/٥٤٠ ، ٥٤١) ، وتذكرة الحفاظ (٢/٧٤٢).

(٢) الذهبي ، السير (١٤/١٩٢ ، ١٩٣).

(٣) الذهبي ، مهذب السنن [ح١٤٩٨] .

ثم دافع عن متنه مستخدمًا تقدير محذوف ، فقال : «ولا بد للحديث من تقدير شيء محذوف مع الغسل ، ومع الوضوء ، فالمقدر : المشروع أو المسنون أو المستحب أو الواجب»[١].

ومن ذلك حديث : «من كانت له حاجة فليتوضأ ويصلي ركعتين ويثني على الله ، ويصلي على نبيه ، وليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم» .

أورده ابن الجوزي في الموضوعات ، فتعقبه الذهبي قائلاً : «أخرجه الترمذي من حديث فايد ، عن ابن أبي أوفى ، وما هو بموضوع ، بل يحتمل»[٢].

٧- ذكر ما صح في الباب :

قد يضعف المتن في حديث ما ، ولكن يصح في معناه متن آخر ، فلا يكتفي الحافظ الذهبي برد المتن الضعيف ، بل يشير إلى ما صح في هذا الباب ، وإن لم يصح في الباب شيء أعلن الحافظ ذلك .

فقد روى من حديث أبي هريرة ﷺ : «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**» ، قال الذهبي : «وهذا منكر . . . وثبت قول النبي ﷺ : «**مطل الغني ظلم**»[٣].

ومن ذلك ما روي عن أبي سعيد : «أنه كان إذا رأى الشاب قال : مرحبًا بوصيه رسول الله ﷺ ، **أُمرنا أن نحفظكم ونوسع لكم في المجالس**» ، قال الذهبي : «غريب جدًا . والمحفوظ عن الجريري مختصر ، وهو أن رسول الله ﷺ كان يوصينا بكم»[٤].

وروي من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ : «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم**» قال الذهبي : «ولا يصح في هذا شيء»[٥].

٨- افتراض صحة المتن :

وقد لا يكون الحديث صحيحًا ، وتأتي قناعة الحافظ الذهبي ، ألا يعتمده ، ولكنه ربما استنبط منه بعض الأحكام على تقدير صحته ، أي لو كان ذلك الحديث صحيحًا ، فإن مما يستفاد منه كذا وكذا .

---

(١) الذهبي ، السير (١٨/٣٥٦ ، ٣٥٧).
(٢) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص١٦٦ رقم ٥٢٠ .
(٣) الذهبي ، مهذب السنن [٣/ق١٧٦-ب] .
(٤) الذهبي ، الميزان (٤/٥٤٥).
(٥) المصدر السابق (٢/٥٨٦).

ومن ذلك ما جاء من حديث عائشة مرفوعًا : «**لا تقطعوا اللحم بالسكين ، فإن ذلك من صنيع الأعاجم ، ولكن انهسوه ، فإنه أهنأ وأمرأ**» .

وجاء من حديث عمرو بن أمية «أنه رأى رسول الله ﷺ يحتز اللحم بالسكين ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ» ، قال الحافظ الذهبي عن حديث عمرو بن أمية : «هذا الحديث أصح وأولى بالاتباع ، وإن صح ما قبله ، فعلى سبيل الأولوية»[(١)].

ومن ذلك حدث أنس مرفوعًا :«**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر**» الحديث ، وفيه : «**وأقرؤهم أُبي ، وأفرضهم زيد بن ثابت**» ، قال الذهبي : «هذا غريب . . . وبتقدير صحة «**أفرضهم زيد ، وأقرؤهم أُبي**» لا يدل على تحتم تقليده في الفرائض ، كما لا يتعين تقليد أُبي في قراءته وما انفرد به»[(٢)].

ومن ذلك حديث : «**إذا شككت في صلاتك في ثلاث أو أربع ، وأكبر ظنك على أربع ، سجدت سجدتين ثم سلمت ، وإن كان أكبر ظنك على ثلاث ، فصل ركعة ثم تشهد ، ثم اسجد سجدتي السهو ثم سلم**» ، قال الذهبي : «لو صح لكان فيه فرج عن ذوي الوسواس»[(٣)].

● **النقد السلبي للمتن**

الحافظ الذهبي قد يقف مدافعًا عن صحة المتن إذا ظهر له ذلك ، ويجعل من التأويل والجمع بين الروايات وسيلة إلى ذلك ، ولكنه يقف موقف الهجوم كثيرًا إذا بدا له غير ذلك ، فالناقد الموضوعي لا ينشد غير الحق ، وليس له هدف سوى الحقيقة ، ويستوي عنده تصحيح الأحاديث الضعيفة أو تضعيف الأحاديث الصحيحة ، فالأول يدخل في الشرع ما لم يأذن به الله ، والآخر يخفي بعض معالم الشريعة الغراء .

والناقد في انتقاده السلبي للنص يعتمد على قرائن وهن ذلك النص ، ودلائل ضعف ذلك المتن ، ومن دلائل ضعف المتن عند الحافظ الذهبي :

١- معارضة الصحيح الثابت من الروايات :

ومن ذلك ما جاء في فضل المدينة ، فقد روي من حديث رافع بن خديج : «أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : المدينة خير من مكة» ، قال الذهبي : «ليس بصحيح ، وقد صح في مكة خلافه»[(٤)].

---

(١) الذهبي ، مهذب السنن [٤/ق١٠٣-ب] .
(٢) الذهبي ، السير (٤٣٢/٢).
(٣) المصدر السابق (١٤٦/٦).
(٤) الذهبي ، الميزان (٦٢٣/٣).

وكذلك روي من حديث أبي هريرة : «**اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلي ، فأسكني أحب البلاد إليك ، فأسكنه الله المدينة**» ، قال الذهبي : «موضوع ، **فقد ثبت أن أحب البلاد إلى الله مكة**»[١].

ومن ذلك ما روي من حديث علي ﷺ :«خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم أنا» ، قال الذهبي : «هذا لفظ منكر ، لم يقله علي ﷺ هكذا ، **والمتواتر خلافه**»[٢].

ومن ذلك حديث ابن إسحاق وفيه : «بعث الله ملكًا من الملائكة ـ يعني إلى بخت نصر ، فقال : هل تعلم يا عدو الله كم بين السماء والأرض؟ قال : لا . . . » وفيه : «ثم بعث الله البعوضة فقتلته» ، قال الذهبي : «هكذا قال بخت نصر ، والمحفوظ أن صاحب القصة نمرود»[٣].

من ذلك حديث ربعي بن حراش ، عن عثمان بن عفان ﷺ «أنه خطب إلى عمر ابنته ، فرده فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فلما أن راح إليه عمر قال : **يا عمر ألا أدلك على ختن خير لك من عثمان ، وأدل عثمان على ختن خير له منك؟** قال : نعم يا رسول الله . قال : **زوجني ابنتك ، وأزوج عثمان ابنتي**» صححه الحاكم ، قال الذهبي : «**ما في الصحيحين بخلاف هذا** ، من أن عمر هو الذي عرضها على عثمان فامتنع»[٤].

ومن ذلك ما رواه عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : «أن النبي ﷺ كان يأخذ من لحيته ، من طولها وعرضها» ، قال الذهبي : «ويخالفه **ما ثبت** من قوله عليه السلام : «**أعفوا اللحى**» »[٥].

وجاء عن يحيى بن عبد الله بن مالك : «كان رسول الله ﷺ يصبغ ثيابه بالزعفران : قميصه ، ورداءه ، وعمامته» ، وعن زيد بن أسلم :«كان رسول الله ﷺ يصبغ ثيابه ، حتى العمامة بالزعفران» ، قال الذهبي : «وهذه المراسيل **لا تقاوم ما في الصحيح** من نهي النبي ﷺ عن التزعفر ، وفي لفظ : «أن يتزعفر الرجل» »[٦].

---

(١) الذهبي ، المستدرك (٤/٣).
(٢) الذهبي ، التاريخ (٦٤٨/٢٦ ، ٦٤٩).
(٣) الذهبي ، العلو ص١٤٥ .
(٤) الذهبي ، تلخيص المستدرك (١١٥/٣).
(٥) الذهبي ، التاريخ (٣٢٠/١٣).
(٦) المصدر السابق (٥٠٠/١ ، ٥٠١).

وروى الكلبي عن أبي صالح باذام ، عن ابن عباس : « ولد رسول الله ﷺ قبل الفيل بخمس عشرة سنة » ، قال الذهبي : « قد تقدم ما يبين كذب هذا القول عن ابن عباس **بإسناد صحيح** »[١].

وذكر ابن إسحاق في غزوة بدر أنه « قُتل من المشركين بضعة وأربعون ، وكانت الأسارى أربعة وأربعين أسيرًا » ، ولكن الحافظ الذهبي عارض ذلك برواية الزهري عن عروة : « هزم المشركون وقتل منهم زيادة على السبعين ، وأسر مثل ذلك » ، ثم قال : « ويشهد لهذا القول حديث البراء الذي في البخاري : « أصاب النبي ﷺ وأصحابه من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيرًا وسبعين قتيلاً »[٢]

٢- خلاف التاريخ الثابت :

إن مخالفة المتن للمعلوم من الحوادث التاريخية التي اتفق عليها العلماء ، وتواترت عند أهل التواريخ يعد قدحًا في الرواية ، وقرينة على تسرب الوهم إلى أحد رواة الحديث ، ودلالة على عدم قبول ذلك المتن .

فمن ذلك حديث هشام بن عروة ، عن أبيه قال : « مر ورقة بن نوفل ببلال ، وهو يعذب على الإسلام . يلصق ظهره بالرمضاء ، وهو يقول : أحد أحد ، فقال : يا بلال صبرًا ، والذي نفسي بيده ، لئن قتلتموه لأتخذه حنانًا » ، قال الذهبي : « لم يعش ورقة إلى ذلك الوقت »[٣].

ومن ذلك حديث بحيرا الراهب : « سمعت النبي ﷺ يقول : إذا شرب الرجل كأسًا من خمر . . . » الحديث ، قال الذهبي : « هذا باطل ، بحيرا لم يدرك المبعث »[٤].

ومن ذلك حديث سفر النبي ﷺ وهو مراهق مع أبي طالب إلى الشام ، وذكر بحيرا الراهب ، وفيه : « ورده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ».

قال الذهبي : « ومما يدل على أنه باطل قوله : « ورده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر وبلالاً » بلال لم يكن خلق بعد ، وأبو بكر كان صبيًا »[٥].

---

(١) الذهبي ، التاريخ (١/٢٥).
(٢) المصدر السابق (٢/١١٣).
(٣) الذهبي ، السير (١/٣٥٢).
(٤) الذهبي ، الميزان (٢/١٥٣).
(٥) المصدر السابق (٢/٥٨١).

ومن ذلك ما روي في مولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فمن ذلك : «أتاني جبريل بسفرجلة من الجنة ، فأكلتها ليلة أسري بي ، فعلقت خديجة بفاطمة ، فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة ، شممت رقبة فاطمة» .

ومنه حديث عائشة : «يا رسول الله مالك إذا قبلت فاطمة جعلت لسانك في فمها؟ قال يا عائشة ، إن الله أدخلني الجنة ، فناولني جبريل تفاحة فأكلتها ، فصارت في صلبي ، فلما نزلت من السماء واقعت خديجة . . . » الحديث .

ومنه حديث ابن عباس : «لما ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ سماها المنصورة ، فنزل جبرائيل ، فقال : **يا محمد ، الله يقرئك السلام ، ويقرئ مولودك السلام ، وهو يقول : ما ولد مولود أحب إلي منها ، وأنه قد لقبها باسم خير مما سميتها ، سماها فاطمة ؛ لأنها تفطم شيعتها من النار**» .

قال الذهبي : «هذا كذب صريح ، لأنها ولدت من قبل البعثة بخمس سنين أو نحوها»[(١)] ، وقال : «وقد علم الصبيان أن جبرائيل لم يهبط على نبينا إلا بعد مولد فاطمة بمدة»[(٢)].

ومن ذلك ما روي عن علي بن زيد ، عن أنس وسعيد بن المسيب قالا : «شهد ابن عمر بدرًا» ، قال الذهبي : «هذا خطأ وغلط ، ثبت أنه قال : «عرضت على رسول الله ﷺ يوم أحد ، وأنا ابن أربع عشر سنة فلم يجزني» »[(٣)].

ومن ذلك حديث ابن عباس ، قال : «كان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ علي والفضل وقثم بن العباس وشقران» ، قال الذهبي : «قثم أصغر من عبد الله ابن عباس ، هو من أقران الحسين ، ورضع معه ، فهو يصغر عن ذلك»[(٤)].

ومن ذلك حديث عكرمة : «أن زينب بنت أم سلمة كانت تعتكف مع رسول الله ﷺ وهي تهراق الدم ، فأمرها أن تغتسل لكل صلاة» ، قال الذهبي :

---

(١) الذهبي ، الميزان (٤٣٩/٣) ، المستدرك (١٦٩/٣).

(٢) المصدر السابق (٤١٥/٢ ، ٤١٦) ، (٨١/١).

(٣) الذهبي ، السير (٢٠٩/٣) ، والمستدرك (٦٤١/٣).

(٤) الذهبي ، معذب السنن [٢/ق٢٢٢-ب] .

«هذا غلط ، زينب لا حاضت ولا اعتكفت مع رسول الله ، كانت صغيرة جدًّا ، وجاء عن عكرمة ما يخالف ذلك»[١].

ومن ذلك حديث ابن عباس : «طلق عبد يزيد أبو ركانة أُمَّ ركانة ، ثم نكح امرأة من مزينة ، فجاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، ما يغني عني إلا كما تغني الشعرة ـ لشعرة أخذتها من رأسها ـ . . . . » الحديث وفيه : «فقال رسول الله : **طلقها**» ، قال الذهبي : «الخبر خطأ ، عبد يزيد لم يدرك الإسلام»[٢].

٣- خلاف الواقع :

وقد تخالف الرواية المشاهد الذي لا يختلف فيه اثنان ، ولا ينتطح فيه عنزان ممن شهدوا ذلك الواقع ، فيكون اتفاق العلماء على ذلك دليل من أدلة الخطأ في الرواية ؛ إذ التناقض بين الرواية الصحيحة والواقع المجمع عليه يوهن الحديث ، ويشكك في صحة نسبته للنبي ﷺ .

ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما : «لما خيرت بريرة ، رأيت زوجها يتبعها في سكك المدينة ودموعه تسيل على لحيته ، فكلم العباس ليكلم فيه رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : **إنه زوجك** ...» الحديث ، قال الذهبي : «قوله :«فكلم العباس» شيء منكر ، فإن عتق بريرة كان قبل إسلام العباس»[٣].

ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنه : «أسلم العباس بمكة قبل بدر ، وأسلمت أم الفضل معه حينئذٍ ، وكان مقامه بمكة ، إنه كان لا يغبي على رسول الله ﷺ بمكة خبر يكون إلا كتب به إليه ... ولقد كان يطلب أن يقدم ، فكتب إليه رسول الله ﷺ : إن مقامك مجاهد حسن ، فأقام بأمر رسول الله ﷺ» ، قال الذهبي : «ولو جرى هذا لما طلب من العباس فداءً يوم بدر ، والظاهر أن إسلامه كان بعد بدر»[٤].

---

(١) الذهبي ، مهذب السنن [١/ق١٠٤-ب] .
(٢) الذهبي ، المستدرك (٢/٥٣٣).
(٣) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٩/٨٢).
(٤) الذهبي ، السير (٢/٩٨ ، ٩٩).

ومن ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها في خبر تزوجها من النبي ﷺ وفيه : « فقالت لابنها عمر بن أبي سلمة : قم فزوج رسول الله ﷺ ، فزوجه ».

قال الذهبي : « فعلى هذا لا يستقيم أن يكون ابنها زَوَّجها ؛ لأنه كان يكون عمره إما سنتين أو ثلاث سنين »[١].

ومن ذلك حديث أنس رضي الله عنه : « وَقَّت رسول الله ﷺ لأهل المدائن العقيق ، ولأهل البصرة ذات عرق » ، قال الذهبي : « هذا باطل ، فإن البصرة إنما مُصِّرت زمن عمر »[٢].

ومن ذلك حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة في تزويج النبي ﷺ أم حبيبة بالحبشة ، قال : « أنكحه إياها بالحبشة عثمان رضي الله عنه » .

قال الذهبي : « هذا خطأ فإن عثمان كان بالمدينة مع النبي ﷺ ، ولم يغب عنه إلا يوم بدر ، أمره النبي ﷺ أن يقيم فَيُمَرِّض زوجته »[٣].

ومن ذلك حديث أبي عبد الرحمن السلمي في معركة صفين ، وفيه قول عبد الله بن عمرو لأبيه : « أما تذكر يوم بنى رسول الله ﷺ المسجد فكلنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين ، فمر على رسول الله ﷺ يحمل لبنتين لبنتين وأنت ممن حضر ، قال : **أما إنك ستقتلك الفئة الباغية** ...» الحديث ، قال الذهبي : « هو كما ترى خطأ ، فأين كان عمرو وابنه يوم بناء المسجد »[٤].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في ذكر بناء مسجد الرسول ﷺ : « وكان المسجد موضعًا للتمر لابني أخي أسعد بن زرارة ، فأعطاه النبيَّ ﷺ وأعطى ابني أخيه مكانه نخلاً له ... وبنى النبي ﷺ لحمزة ولعلي ولجعفر ، وهم بأرض الحبشة ، وجعل مسكنهم في مسكنه ، وجعل أبوابهم في المسجد مع بابه ...» الحديث ، قال الذهبي : « كذا قال : وهم بأرض الحبشة ، وإنما كان علي بمكة »[٥].

---

(١) الذهبي ، مهذب السنن [٤/ق٤٥ - ب].
(٢) الذهبي ، الميزان (٤/٣١٣).
(٣) الذهبي ، السير (١/٤٤٢).
(٤) الذهبي ، المستدرك (٣/٤٣٦ ، ٤٣٧).
(٥) الذهبي ، التاريخ (١/٣٣٤ ، ٣٣٥).

ومن ذلك ما جاء من حديث عائشة رضي الله عنها :« خرجنا مع رسول الله ﷺ في عمرة في رمضان ، فأفطر رسول الله ﷺ وصمت وقصر وأتممت . . . » ، قال الذهبي : « منكر ، لم يعتمر رسول الله ﷺ في رمضان أبدًا »[١].

ومن ذلك حديث عمرو بن زيد عن أبيه : « أن رسول الله ﷺ استصغر ناسًا يوم أحد ، منهم زيد بن جارية ـ يعني نفسه ـ والبراء ، وزيد بن أرقم وأبو سعيد وابن عمر ، وذكر جابر بن عبد الله . . . » ، قال الذهبي : « ما كان جابر يومئذٍ صغيرًا ، بل أبوه حبسه لبناته »[٢].

وانتقد الحافظ الذهبي حديث تعليم أسارى بدر من المشركين ممن لا فداء عندهم ، أبناء المسلمين ، قائلاً : « الخبر منكر ، وما أقل ما كانت الكتابة في قريش »[٣].

٤- خلاف المعهود :

ومن دلائل الطعن في المتن أن يأتي الحديث بأمر يخالف المعهود ، وذلك ما يستنكره الحفاظ ، فيردون المتن لأجل ذلك .

ومن ذلك ما رواه عمرو بن حكام ، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : « أهدى ملك الروم إلى رسول الله ﷺ جرة زنجبيل فأطعم كل إنسان قطعة وأطعمني قطعتين » ، قال الذهبي : « هذا منكر من وجوه :

أحدها : أنه لا يعرف أن ملك الروم أهدى شيئًا إلى النبي ﷺ .

ثانيهما : أن هدية الزنجبيل من الروم إلى الحجاز شيء ينكره العقل ، فهو نظير هدية التمر من الروم إلى المدينة . . . وإنما يهدى الزنجبيل من هناك إلى أرض الروم ، فهو كما قيل : كجالب القر إلى هجر »[٤].

ومن ذلك ما رواه إسحاق بن نجيح الملطي من حديث أبي سعيد وصية أوصى بها النبي ﷺ لعلي كلها في الجماع ، قال الذهبي : « فانظر إلى الدجال

---

(١) الذهبي ، مهذب السنن [٢/ق٨١-أ] ، وتنقيح التحقيق (٤/٤٤).
(٢) الذهبي ، مهذب السنن [٥/ق٣٠-أ] . (٣) المصدرالسابق [٣/ق١٧٨-ب] .
(٤) الذهبي ، الميزان (٣/٢٥٤) ، التاريخ (١٥/٣١٨).

ما أجراه»[١] ، ومعلوم أن حياء النبي ﷺ يمنعه من الحديث في هذه الأمور مع صحابته الأبرار ، كما أن ذلك يستحيل لكون فاطمة ابنة النبي ﷺ كانت تحت علي رضي الله عنه ، فيستحيل في العادة صدور مثل ذلك من الأب لزوج ابنته .

ومن ذلك ما رواه الواقدي عن معاوية رضي الله عنه قال : «لما كان عام الحديبية وصدوا رسول الله ﷺ عن البيت ، وكتبوا بينهم القضية وقع الإسلام في قلبي . . . ودخل مكة عام عمرة القضية وأنا مسلم» ، قال الواقدي : «وشهد معه حنينًا ، فأعطاه من الغنم مائة من الإبل وأربعين أوقية» .

قال الذهبي : «الواقدي لا يعي ما يقول ، فإن كان معاوية كما نقل قديم الإسلام ، فلماذا يتألفه النبي ﷺ؟ ولو كان أعطاه لما قال عندما خطب فاطمة بنت قيس : (أما معاوية فصعلوك لا مال له)»[٢].

وروى أبو داود في سننه من حديث أنس رضي الله عنه : «أن النبي ﷺ آخى بين الزبير وابن مسعود» ، قال الذهبي : «أكثر من آخى النبي ﷺ بينهم مهاجري وأنصاري»[٣].

وذلك أن واقع المؤاخاة كان لصهر الفوارق القبلية وتوحيد المسلمين في رابطة جديدة ، وهي الأخوة في الله التي هي أقوى من رابطة الدم أو العرق ، وكذلك ليعين الأنصار إخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم بمكة ؛ فارين بدينهم إلى الله تعالى .

ومن ذلك ما روي من دخول النبي ﷺ الكعبة عام الفتح «فرأى صورة إبراهيم فقال : **قاتلهم الله جعلوه شيخًا يستقسم بالأزلام ، ثم رأى صورة مريم ، فوضع يده عليها ، فقال : امحوا ما فيها إلا صورة مريم**» ، قال الذهبي : «هذا أمر لم نسمع به إلى اليوم»[٤]. وذلك أمر تتوافر الدواعي على نقله ، ومجيئه من طريق ضعيف يوقع الشكوك فيه .

وقد روي من حديث سليمان التيمي : سألت سعدًا عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، فقال : فعلتها مع رسول الله ﷺ ، وهذا يومئذٍ كافر بالعُرُش ـ يعني معاوية بمكة .

---

(١) الذهبي ، الميزان (٢٠٢/١).
(٢) الذهبي ، السير (١٢٢/٣).
(٣) المصدر السابق (٤٦٧/١).
(٤) الذهبي ، التاريخ (٧٤/١).

قال الذهبي : « وهذا لا يتجه ، لأن عام حجة الوداع لم يبق بمكة كافر »[١].

وقد روي في مناقب سعد بن حيثمة من حديث زيد بن حارثة قال : « استصغرنا رسول الله ﷺ أنا وسعد بن خيثمة » صححه الحاكم ، قال الذهبي : « منكر ، كيف يُستصغر من هو نقيب؟ »[٢].

وروى حرام بن عثمان من حديث جابر : « أن ثعلبة بن عنمة وفد على رسول الله ﷺ وهو جالس فسلم وفي إصبعه خاتم من ذهب ، فلم يرد عليه . . . » ، قال الذهبي : « الحديث باطل لقوله « وفد » وإنما هو من أهل المدينة ، وأيضًا فإنما حرم الذهب في أواخر الأمر »[٣].

٥ - خلاف المعقول

مخالفة الحديث للمعقول الصريح الذي لا يختلف عليه عقول الأسوياء الذين لا يتهمون بهوى أو ريبة من أسباب رد الحديث الشريف ، وكما قال ابن الجوزي أن مخالفة الأصول أو مباينة المعقول من دلائل رد الحديث .

ومن ذلك ما روى عبد الوهاب بن همام الصنعاني من حديث ابن عمر : « خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وفي يده كتابان بتسمية أهل الجنة وتسمية أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم » ، قال الذهبي : « هو حديث منكر جدًا ، ويقضي أن يكون زنة الكتابين عدة قناطير »[٤].

ومن ذلك حديث رد الشمس لعلي رضي الله عنه لفوات صلاة العصر ، قال الذهبي : « لو ردت لعلي لكان ردها يوم الخندق للنبي ﷺ بطريق الأولى ، فإنه حزن وتألم ودعا على المشركين لذلك . ثم نقول : لو ردت لعلي لكان لمجرد دعاء الرسول ﷺ ، ولكن لما غابت خرج وقت العصر ودخل وقت المغرب ، وأفطر الصائمون ، وصلى المسلمون المغرب ، فلو ردت الشمس للزم تخبيط الأمة في صومها وصلاتها ، ولم يكن في ردها فائدة لعلي ؛ إذ رجوعها لا يعيد العصر

---

(١) الذهبي ، مهذب السنن [٣/ق٦-ب] .

(٢) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٣/٢٠٨ ، ٢٠٩).

(٣) المصدر السابق (٣/٢٥٧).

(٤) الذهبي ، الميزان (٢/٦٨٤).

أداءً ، ثم هذه الحادثة العظيمة لو وقعت لاشتهرت وتوفرت الهمم والدواعي على نقلها»[١].

ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما : «لما أتى النبي أبا طالب ، قال : **أي عم ، قل : لا إله إلا الله أستحل لك بها الشفاعة . . .** » ، وفيه «فلما ثقل أبو طالب رؤي يحرك شفتيه ، فأصغى إليه أخوه العباس ثم رفع عنه ، فقال : يا رسول الله قد والله قالها . . . » .

قال الذهبي :«هذا لا يصح ، ولو كان سمعه العباس يقولها لما سأل النبي ﷺ ، وقال : «هل نفعت عمك بشيء» ولما قال علي بعد موته : «يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات» فلو كان العباس عنده علم من إسلام أخيه أبي طالب لما سكت عند قول النبي ﷺ : «**هو في ضحضاح من النار**»، ولقال : إني سمعته يقول : لا إله إلا الله ، ولكن الرافضة قوم بهت»[٢].

ومن ذلك ما رواه علي بن عابس من حديث أبي سعيد قال : «لما نزلت : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ (الإسراء:٢٦) ، دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك» ، قال الذهبي : «هذا باطل ، ولو كان وقع ذلك لما جاءت فاطمة رضي الله عنها تطلب شيئًا هو في حوزها وملكها»[٣].

ومن ذلك ما رواه عمر بن خالد بن إبراهيم من حديث ابن عباس : «أن رسول الله ﷺ قال للعباس : **يا عم ، إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ، فاسمعوا له وأطيعوا تفلحوا**».

قال الذهبي : «هذا الحديث ليس بصحيح ، ويبطله أن العباس قال لعلي : «ألا تدخل بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله ...» الحديث وهو في الصحيح»[٤].

ومن ذلك حديث ميمونة مولاة رسول الله ﷺ قالت : «يا رسول الله ، أفتنا في بيت المقدس . قال : **ائتوه فصلوا فيه ، فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله**» .

---

(١) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص١٠٧ .
(٢) الذهبي ، التاريخ (١/٢٣٢-٢٣٦).
(٣) الذهبي ، الميزان (٣/١٣٥).
(٤) المصدر السابق (٣/١٨٠).

قال الذهبي : «هذا خبر منكر ، وكيف يسوغ أن يبعث بزيت ليسرجه النصارى على التماثيل والصلبان؟! وأيضًا فالزيت منبعه من الأرض المقدسة ، فكيف يأمرهم أن يبعثوا به من الحجاز محل عدمه إلى معدنه؟! ثم إنه عليه السلام لم يأمره بوقيد ولا بقناديل في مسجده ولا فعله»[١].

ومن ذلك حديث : «**لن تخلو الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الرحمن ، بهم يغاثون ، وبهم يرزقون ، وبهم يمطرون**» ، قال الذهبي : «فوالله ما في أمة نبيا ﷺ أحد مثل أبي بكر ، وبينه وبين إبراهيم من الفضل ما لا يحصيه بشر»[٢].

ومن ذلك حديث بحيرا الراهب في رحلة النبي ﷺ وعمه أبي طالب إلى الشام ، وفيه : «فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وزوده الراهب من الكعك والزيت» ، قال الذهبي : «وهو حديث منكر جدًا ، وأين كان أبو بكر ، كان ابن عشر سنين ، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين ونصف . وأين كان بلال في هذا الوقت؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث ، ولم يكن ولد بعد .

وأيضًا فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فيء الشجرة؟ لأن ظل الغمامة يعدم فيء الشجرة التي نزل تحتها؟ ولم نر النبي ﷺ ذكّر أبا طالب قط بقول الراهب ، ولا تذاكرته قريش ، ولا حكته أولئك الأشياخ ، مع توفر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك ، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار ، ولبقي عنده ﷺ حس من النبوة ، ولما أنكر مجيء الوحي إليه أولاً بغار حراء وأتى خديجة خائفًا على عقله . . . وأيضًا فلو أثّر هذا الخوف في أبي طالب ورده ، كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر إلى بلاد الشام تاجرًا لخديجة؟ وفي الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الصوفية»[٣].

---

(١) الذهبي ، مهذب السنن [١/ق٢٩١-ب] .

(٢) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص٢٧٢ رقم ٩٧٦ .

(٣) الذهبي ، التاريخ (١/٥٦ ، ٥٧).

ومن ذلك أحاديث الشيعة عن الإمام الغائب وعصمته وعلمه بكل شيء ودخوله السرداب ، قال الذهبي : «نعوذ بالله من زوال العقل ، فلو فرضنا وقوع ذلك في سالف الدهر فمن الذي رآه؟ ومن الذي نعتمد عليه في إخباره بحياته؟ ومن الذي نص على عصمته وأنه يعلم كل شيء؟! هذا هوس بين ، إن سلطناه على العقول ضلت وتحيرت ؛ بل جوزت كل باطل أعاذنا الله وإياكم من الاحتجاج بالمحال والكذب»[١].

٦- الركاكة

النبي ﷺ أفصح العرب ، وقد أوتي جوامع الكلم ، وهو خير من نطق بالضاد ، ويبعد أن يتحدث النبي ﷺ باللفظ الركيك ، أو الكلمات المبتذلة ، لما جمع الله له من الفصاحة والبيان ، وكون لفظ الحديث ركيكًا من الدوافع التي تجعل الناقد يجزم بعدم صدور تلك الألفاظ من النبي ﷺ .

ومن ذلك ما جاء أن النبي ﷺ قال لعلي :«**إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة ، وقد زوجتكها على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت** ، قال : قد رضيت» ، قال الذهبي : «هذا موضوع فيه من الركة أشياء»[٢].

ومن ذلك حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من يريد أن يحيا حياتي ويموت موتي ، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب ، فإنه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم في ضلالة**»، قال الذهبي : «أنى له الصحة؟! ... واللفظ ركيك ، فهو إلى الوضع أقرب»[٣].

ومن ذلك حديث علي رضي الله عنه : «بايع الناس لأبي بكر ، وأنا والله أولى بالأمر منه ، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض ، ثم بايع الناس عمر ، وأنا أولى منه . . . » ، قال الذهبي : «فيه كلام طويل ركيك لم يصح»[٤].

---

(١) الذهبي ، السير (١٢٢/١٣).

(٢) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص١٣٠ رقم ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

(٣) الذهبي ، تلخيص المستدرك (١٣٩/٣).

(٤) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص١١٣ رقم٣٣٢ .

ومن ذلك ما ذكره الزبير بن بكار أن عبد الرحمن الأوسط من أولاد عمر كان يكنى أبا شحمة ، فكان بمصر ، فسكر ثم جاء عمرو بن العاص ، فقال : أقم عليَّ الحد فامتنع ، ولما قدم المدينة جلده أبوه ، فاتفق أنه مرض ثم مات ، وكذا أنه واقع امرأة كرهًا بعدما شرب الخمر عند يهودي في المدينة .

قال الذهبي : «وضعه الجهلة ليبكي العوام والنساء»[١] ، وقال في ترجمة محمد بن علي بن عمر المذكر : «جاء من طريقه قضية أبي شحمة ، ولد عمر ، وجلده بألفاظ ركيكة الوضع»[٢].

٧- المبالغة

كثير من الناس إذا استمع حديثًا يأبى أن يخبر به كما سمع ، إلا أن يجود بذيل لذلك الحديث ، ومع كثرة الذيول وتعدد المخبرين ؛ إذا بالشبر قد صار باعًا وقطرة الماء قد استحالت بحرًا عظيمًا متلاطم الأمواج ، وذلك معروف في طباع الكثيرين الذين يجعلون المبالغة في الأحداث والأرقام لونًا من ألوان الجذب والتشويق ، والتأثير وإثارة الاهتمام ، وهكذا .

ومن ذلك ما جاء في الأحاديث والآثار ، وتنبه إليه نقاد الحديث ، وعدوا الزيادة المفرطة ، والإغراق في المبالغة ، والمجازفات الغير متصورة من دواعي نقد الحديث الشريف .

ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها : «فخرت بمال أبي في الجاهلية وكان ألف ألف أوقية» ، قال الذهبي : «وأعتقد أن لفظة ألف الواحدة باطلة ، فإنه يكون أربعين ألف درهم ، وفي ذلك مفخرة لرجل تاجر . أما ألف ألف أوقية فلا تجتمع إلا لسلطان كبير»[٣].

ومن ذلك المبالغة في الأجر العظيم على العمل القليل ، مما يجعل موازين الأعمال غير منضبطة ، وغالب تلك الروايات مصدرها العباد والزهاد ، الذين يحاولون ترغيب المسلمين في تلك العبادات أوجعلهم يتذرعون بالصبر على الابتلاءات ، ومنه حديث :«**أنين المريض تسبيحه ، وصيامه تهليله ، ونومه عبادة ، ونفسه صدقة ، وتقلبه قتال لعدوه**» ، قال الذهبي : «هذا منكر جدًّا»[٤].

---

(١) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص٣١٩ رقم ١١٦٩ . (٢) الذهبي ، المغني (٢/٢٤٣).
(٣) الذهبي ، السير (٢/٨٥ ، ٨٦). (٤) المصدر السابق (٤/١٥٥).

ومن ذلك ما ذكر في ترجمة ابن الجوزي رحمه الله وكيف كان يجالس الملوك والوزراء وكيف كان مجلسه عامرًا حى قيل : « حزر الجمع بمائة ألف » ، قال الذهبي : « ولا ريب أن هذا ما وقع ، ولو وقع لما قدر أن يسمعهم ، ولا المكان يسعهم »[١] .

فهذه زيادة أراد من قالها المبالغة في عدد الحضور ، ولعل ذلك الرقم أخذ يتنامى على يد الرواة حى بلغ ذلك العدد .

٨- مشابهة كلام القصاص

انتشر القصاص في الدولة الإسلامية وتطور أسلوب أدائهم ، فبينما كانت صورة القاص في الزمن الأول ذلك الواعظ الذي يذكر المسلمين بالآخرة ، ويحثهم على العمل الصالح ، ويرغبهم في الآخرة ، ويزهدهم في الدنيا ، فإن صورته بدأت تتغير شيئًا فشيئًا ، حتى بلغ الحال بهم في بعض العصور إلى صورة متكففٍ لأموال الناس ، متسول يبيع آخرته بدنياه ، ويتفنن في وضع الحديث وافتراء الحوادث التي لم تكن ، مازجًا ذلك بالمؤثرات التي تجلب الدمع وتثير العواطف ، لعلمه أنه كلما جاشت المشاعر زاد العطاء .

وقد تميز كلام القصاص بسمات خاصة ، وقد عد المحدثون مشابهة متن الحديث لذلك الأسلوب من دلائل تضعيف ذلك المتن ، وطرح الثقة به .

ومن ذلك ما جاء أيضًا في حديث أبي شحمة وفيه : « كانت امرأة تدخل على آل عمر معها صبي ، فقال : من ذا الصبي معك؟ فقالت : هو ابنك ، وقع عليَّ أبو شحمة فهو ابنه ، فأرسل إليه عمر فأقر . فقال لعلي : اجلده . فضربه خمسين ، وضربه عمر خمسين . فقال : يا أبه قتلتني . فقال عمر : إذا لقيت ربك فأخبره أن أباك يقيم الحدود » ، قال الذهبي : « هذا وضعه القصاص »[٢] .

ومن ذلك : « أن فتًى من الأنصار يقال له ثعلبة أسلم ، وكان يخدم النبي ﷺ ، وأن رسول الله بعثه في حاجة ، فمر بباب رجل من الأنصار ، فرأى امرأة الأنصاري تغتسل ، فكرر إليها النظر ، وخاف أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ ،

---

(١) الذهبي ، السير (٢١/٣٧٠).

(٢) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص٣١٧ رقم١١٥٧ .

فخرج هاربًا على وجهه ، فأتى جبلاً بين مكة والمدينة ، ففقده رسول الله ﷺ أربعين يومًا ، وهي الأيام التي قال : ودعه ربه وقلى . وإن جبريل نزل : يا محمد ، إن ربك يقرئك السلام ، ويقول : الهارب من أمتك بين تلك الجبال يتعوذ بي من ناري . . . » ، قال الذهبي : «من وضع الطرقية ، وفضح نفسه الذي وضعه إذ يقول : وذلك أيام ودعه ربه ، وكان ذلك بمكة»[١].

ومن ذلك حديث عيسى بن ماهان من رواية أبي هريرة أو غيره عن النبي ﷺ في الإسراء ، وفيه : «**أتى بفرس فحمل عليه ، خطوه منتهى بصره ، فسار وسار معه جبريل ، فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان فقال : يا جبريل ، من هؤلاء؟ قال : هؤلاء المهاجرون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف . . . ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت . قال : يا جبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين تثاقل رءوسهم عن الصلاة ، ثم أتى على قوم على أدبارهم رقاع . . . ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يريد أن يزيد عليها . . . ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت ، قال يا جبريل : من هؤلاء؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة . . .** » الحديث .

قال الذهبي : «والحديث منكر يشبه كلام القصاص ، إنما أوردته للمعرفة لا للحجة»[٢].

٩- الطول المفرط

النبي ﷺ أفصح العرب ، وقد أوتي جوامع الكلم ، وكان يعبر عن المعنى الواسع باللفظ القليل ، وذلك لما وهبه الله من فصاحة وبلاغة ، ولم يكن النبي ﷺ كثير الحديث ، فلا يتكلم إلا وفق الحاجة بأبلغ عبارة ، ولذلك استنكر الحفاظ الأحاديث الطويلة ، وجعلوا ذلك الطول المفرط من دلائل تضعيف المتن ، وذلك إذا اجتمع ذلك الطول مع دلالة أخرى .

---

(١) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص٢٦٢ رقم٩٣٢ .

(٢) الذهبي ، التاريخ (١/٢٧٦ ، ٢٧٧).

فمن ذلك حديث ثعلبة بن حاطب : « قال يا رسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالاً . . . » ، قال الذهبي : « فذكر حديثًا طويلاً منكرًا بمرة »[١].

ومن ذلك حديث أنس وفيه : « **إن لله ملكًا رأسه تحت العرش ، ورجلاه في التخوم ، أحد جناحيه من ياقوت ، والآخر من زبرجد ، وينادي كل ليلة من رمضان : هل من تائب ...** ».

قال الذهبي : « وسرد حديثًا طويلاً منكرًا »[٢].

ومن ذلك حديث تميم الداري : « سألت رسول الله ﷺ عن المعانقة فقال : **تحية الأمم ، إن أول من عانق خليل الله إبراهيم ، خرج يرتاد لماشيته في بعض جبال بيت المقدس . . .** » ، قال الذهبي : « وذكر حديثًا طويلاً موضوعًا »[٣].

ومن ذلك ما روى حماد بن عمرو ، عن السري بن خالد ، عن جعفر الصادق عن آبائه في العهد لعلي ﷺ ، قال الذهبي : « الحديث الذي فيه وصية النبي لعلي : « **يا علي إن للمؤمن ثلاث علامات : الصلاة ، والصيام ، والزكاة** » ، فذكر حديثًا طويلاً ، فهو موضوع »[٤].

ومن ذلك حديث عمير بن سعد ، وفيه قول عمر ﷺ : « هاتوا صحيفة لنجدد لعمير عهدًا ، قال عمير : والله لا أعمل لك ، اتق الله يا أمير المؤمنين واعفني بغيري . . . » ، قال الذهبي : « وذكر حديثًا طويلاً منكرًا »[٥].

١٠- غلبة الظن أنه من الإسرائيليات

أمرنا النبي ﷺ ألا نصدق بني إسرائيل ولا نكذبهم ، فإن ما بأيديهم من الكتاب فيه بعض الحق مما لم تمتد إليه يد التحريف ، وبه بعض باطل مما تجرأت أيديهم فبدلوه ، فصار ما يروونه فيما لا يوافق أو يخالف شريعتنا محل تردد ، فأمرنا النبي ﷺ بعدم تكذيبه أو الاحتجاج به .

ومن ذلك حديث وهب بن منبه موقوفًا : « **إن السموات والبحار لفي الهيكل ، وإن الهيكل لفي الكرسي ، وإن قدميه عز وجل لعلى الكرسي ، وقد عاد**

---

(١) الذهبي ، تجريد أسماء الصحابة (٦٦/١).
(٢) الذهبي ، التاريخ (١٩٨/١١).
(٣) الذهبي ، الميزان (١٨٩/٣).
(٤) الذهبي ، التاريخ (٥٨٧/١).
(٥) المصدر السابق (١٠٢/٤).

الكرسي كالنعل في قدميه ، فسئل وهب عن الأرضين فقال : هي سبع أرضين ممهدة ، بين كل أرضين بحر . . . » .

قال الذهبي : « كان وهب من أوعية العلوم ، لكن جل علمه عن أخبار الأمم السالفة ، كان عنده كتب كثيرة إسرائيليات ينقل منها . . . وهذا الذي وصفه من الهيكل وأن الأرضين السبع يتخللها البحر وغير ذلك فيه نظر والله أعلم ، فنرده ، ولا نتخذه دليلاً »[١] .

وروي أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما :« رأى رؤيا فأولها له رسول الله ﷺ فقال : **تقرأ الكتابين : التوراة والفرقان** » ، قال الذهبي : « هذا خبر منكر ، ولا يشرع لأحد بعد نزول القرآن أن يقرأ التوراة ولا أن يحفظها لكونها مبدلة محرفة منسوخة »[٢] .

ومن ذلك حديث وهب بن منبه مرفوعًا : « **لقد سبق إسحاق الناس إلى دعوة ما سبقه إليها أحد ، ويقومن يوم القيامة ، فليشفعن لأهل هذه الدعوة ، وأقبل الله على إبراهيم في ذلك المقام فقال : اسمع مني يا إبراهيم ، يا أصدق الصادقين ، وقال لإسحاق : اسمع مني يا أصبر الصابرين ، فإني قد ابتليتكما اليوم ببلاء عظيم لم أبل به أحدًا من خلقي ، ابتليتك يا إبراهيم بالحريق فصبرت صبرًا لم يصبر مثله أحد من العالمين ، وابتليتك الجهاد في وأنت وحيد وضعيف فصدقت وصبرت صبرًا وصدقًا لم يصدق مثله أحد من العالمين ، وابتليتك يا إسحاق بالذبح فلم تبخل بنفسك ولم تعظم ذلك في طاعة أبيك** . . . » ، قال الذهبي : « فمن أين له هذه الخرافات ، إلا من كتب تداول نقلها اليهود الذين بدلوا التوراة »[٣] .

١١- دلائل أخرى

والدلائل على ضعف المتن كثيرة ، وقرائن رده متعددة ، ومن ذلك :

أ- خلاف المعلوم عن المروي عنه : ومن ذلك ما رواه حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « أن النبي ﷺ تزوج ميمونة ، وهما

---

(١) الذهبي ، العلو ص١٣٠ .
(٢) الذهبي ، السير (٣/٨٦).
(٣) الذهبي ، المستدرك (٢/٦١٠).

محرمان» ، قال الذهبي : «ميمونة قد أخبرت بضد هذا ، وهي أخبر بحال نفسها»[١].

ومنه ما رواه مالك عن ابن شهاب ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس : «سمعت عمر يقول : الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف» ، قال الذهبي : «قد مر أن عمر درأ الحد عن الحبلى التي ادعت الإكراه»[٢].

فالحافظ الذهبي يرى فيما روي عن عمر ﷺ من رواية مالك ، عن ابن شهاب ونافع أن درء الحد عنها مخصص لذلك المتن الذي قد يحمل على عمومه .

ب ـ خلاف مقام التنزيه : الأنبياء منزهون عن العبث أو الشك في قدرة الله وحكمته ، ومبرءون من أن يظنوا بالله ظن السوء ، أو تكون أحكامهم عن هوى أو عجلة دون تدبر ، وأصحاب النبي ﷺ مبرءون من العجب والكبر وحب الدنيا على معارضة الآخرة ، فقد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأفضلهم العشرة المبشرون بالجنة ، وأعلاهم الخلفاء الراشدون .

وإذا جاء الحديث يسلب الأنبياء أو الصحابة مقام التنزيه الذي أقرهم الله عليه جعل النقاد ذلك من دلائل رد ذلك المتن .

ومن ذلك ما رواه أمية بن شبل من حديث أبي هريرة مرفوعًا : «**وقع في نفس موسى : هل ينام الله؟** . . .» الحديث ، قال الذهبي : «ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى ، وإنما روي أن بني إسرائيل سألوا موسى عن ذلك»[٣].

ومن ذلك ما رواه البيهقي من حديث وائل بن حجر : «أن امرأة وقع عليها رجل في سواد الصبح ، وهي تعمد إلى المسجد ، فاستغاثت برجل مر عليها وفر صاحبها ، ثم مر عليها قوم فاستغاثت بهم فأدركوا الذي استغاثت به وسبقهم الآخر فذهب ، فجاءوا به يقودونه إليها ، فقال : إنما أنا الذي أغثتك وقد ذهب الآخر ، فأتوا به رسول الله ﷺ فأخبرته أنه وقع عليها ، وأخبره القوم أنهم أدركوه

---

(١) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٦/١٤٢).
(٢) الذهبي ، مهذب السنن [٤/ق٣٠٤-أ].
(٣) الذهبي ، الميزان (١/٢٧٦).

يشتد ، فقال : إنما كنت أغثتها على صاحبها فأدركوني هؤلاء فأخذوني ، قالت : كذب ، هو الذي وقع عليَّ . فقال رسول الله ﷺ : **اذهبوا به فارجموه** ، فقام رجل من الناس فقال : لا ترجموه وارجموني ، أنا صاحبها ، فاجتمع . . . فقال عمر : ارجم الذي اعترف بالزنا . فقال : لا إنه تاب إلى الله توبة ، لو تابها أهل المدينة لقبل منهم ، فأرسلهم» ، قال الذهبي : «حديث منكر ، حاشا رسول الله ﷺ من أن يقول : «**ارجموه**» بمجرد قولها : «كذب ، هو الذي وقع عليَّ» فهو خطأ بيقين»[(١)].

أضف إلى ذلك أن المتن يجمع المتناقضات والغرائب ، فهذه امرأة صالحة ودليل صلاحها خروجها لصلاة الفجر فكيف تكذب الصادق الذي أغاثها وتلقى بالتهمة عليه ، وهي تعلم أنه منها براء؟! ولماذا يشتد الرجل الذي أنقذها؟ وكيف يأمر رسول الله ﷺ بإقامة حدٍّ لم تجتمع شروطه : إما الاعتراف ، أو شهود أربعة بأنهم عاينوا الفعل لا دلائله؟ ثم كيف يتهاون النبي ﷺ في تنفيذ الحد ذاته على المقر بالزنا؟!

ومن ذلك ما نسب إلى أمير المؤمنين علي ﷺ أنه قال : «بايع الناس لأبي بكر ، وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به ، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً . . . ثم بايع الناس عمر . . نشدتكم بالله ، أفيكم أحد آخى رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا : اللهم لا ، ثم قال : نشدتكم الله ، أفيكم عم مثل عمي حمزة ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : أفيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر ذو الجناحين الموشى بالجوهر ، يطير بهما في الجنة؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم أحد مثل سبطي ، الحسن والحسين ، سيدا شباب أهل الجنة ؟ قالوا : لا ، قال أفيكم أحد له زوجة مثل زوجتي؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم أحد كان أقتل لمشركي قريش عند كل شديدة تنزل برسول الله ﷺ مني؟ قالوا : لا . . . » الحديث ، قال الذهبي : « فهذا غير صحيح ، وحاشا أمير المؤمنين من قول هذا»[(٢)].

---

(١) الذهبي ، مهذب السنن [٤/ق٣٢٣-ب] .

(٢) الذهبي ، الميزان (١/٤٤٢).

فأمير المؤمنين علي له من الفضل والسبق إلى الإسلام ، والجهاد في سبيل نشر دعوته ورفع رايته ، مع نسبه الشريف ، ومصاهرته لرسول الله ﷺ إلى غير ذلك من الفضائل التي لا ينكرها إلا جاحد ، ولكن هذا يقال عنه ولا يقوله ، يُمدح به ، ولا يثني به على نفسه ، وهو جدير بالخلافة أهلاً لها ، ولكنه ليس طالبًا لها ، كما أنه ﷺ معظم للشيخين ، عالم بفضلهما ، مقر بما اختاره المسلمون ، سامع ومطيع كما عهد إليه النبي ﷺ ، ولكن الروافض قوم بهت .

جـ ـ خلاف مقام النبوة : النبي ﷺ وعده الله المقام المحمود ، وهو إمام الأنبياء والمرسلين ، وهو أول شافع ومشفع ، أعلى الله ذكره وزكى خلقه ، ورفع قدره ﷺ وما نطق رسول الله عن الهوى ، ولا صدرت سنته لرغبة ، ولا سكت عن رهبة ﷺ .

وإذا جاءت الروايات تقلل من شأن ذلك النبي ، أو تضع من مقامه ومنزلته ، أو تصف فعله بالعبث ، أو التمييز والمحاباة ، فذلك كافٍ لردها والإنكار على رواتها ، ولا ينبغي السكوت عن مثل ذلك .

فقد روى أبو الزعراء عبد الله بن هانئ ، عن ابن مسعود في الشفاعة : « ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعًا » ، قال الذهبي : « والمعروف أنه عليه الصلاة والسلام أول شافع »[1].

ومن ذلك ما رواه عبد الرحيم بن سليمان ، عن أشعث ، عن نافع ، عن ابن عمر : « نهى رسول الله ﷺ المهاجرين أن يصبغوا ثيابهم بالورس والزعفران عند الإحرام » ، قال الذهبي : « هذا خطأ ، ما خص النبي ﷺ المهاجرين دون الأنصار . وقد حرم على من أحرم أن يلبس ثوبًا مصبوغًا بورس أو زعفران »[2].

فالنبي ﷺ لا يعرف التمييز ، وشريعته لا تعرف التفرقة ، ولا فرق بين مهاجري وأنصاري أو سواهما ، مظلة التشريع تجمع الأمة ، وروافد السنة تغذيها.

د ـ تكليف ما لا يطاق : من مظاهر ضعف المتن ودلائله اشتماله على تكليف ما لا يطاق ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ (البقرة:٢٨٦)، وورود الحديث يحمل ذلك المعنى يجعل الناقد يعترض على ذلك المتن .

---

(١) الذهبي ، الميزان (٢/٥١٦ ، ٥١٧).

(٢) المصدر السابق (١/٢٦٤).

ومن ذلك ما روي أن أمير المؤمنين عمر شرب نبيذًا وسقى أصحابه «فأخذ رجل قد سكر ليحده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، تحدني على شراب أنت سقيتنيه؟! قال : ليس أحدك على الشراب ، إنما أحدك على السكر»[(١)].

هـ ـ **شهادة الإسناد** : إذا كانت العلاقة بين المتن والإسناد تتسم بالمرونة ، فقد يكون السند دليلاً على ضعف المتن ، وقد يصح المتن ويضعف السند ، وكذلك قد يقوى السند ويرد المتن .

ومع ذلك فقد ينادي السند على ضعف المتن ، وذلك للتناقض الواضح بين اعتقاد الراوي وما يرويه في متن الحديث .

ومن ذلك ما رواه هشام بن عمار من حديث أبي الغادية : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : **قاتل عمار في النار**» ، قال الذهبي : «وهذا عجيب ، فإن عمارًا قتله أبو الغادية!!»[(٢)].

ومن ذلك ما رواه حكيم بن جبير عن ابن سفيان ، عن عبد العزيز بن مروان من حديث سلمان رضي الله عنه قال : «يا رسول الله ، إن الله لم يبعث نبيًّا إلا بين له من يلي بعده ، فهل بين لك؟ قال : نعم ، علي»، قال الذهبي :«هذا حديث موضوع ، ثم كيف يروى مثل هذا عبد العزيز بن مروان ، وفيه انحراف عن علي رضي الله عنه»[(٣)].

ومن ذلك ما يروى عن علي بن الحسين ، عن مروان بن الحكم ، قال : «شهدت عثمان وعليًّا ، فنهى عثمان عن المتعة ، وأن يجمع بينهما ، فلما رأى ذلك عليّ أهل بهما ، فقال : لبيك بحجة وعمرة ، فقال عثمان : تراني أنهى الناس وأنت تفعله! فقال : لم أكن لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس» ، قال الذهبي : «وهو شيء غريب ؛ إذ فيه رواية علي بن الحسين عن مروان ، وفيه تصويب مروان اجتهاد عليٍّ على اجتهاد عثمان ، مع كون مروان عثمانيًّا»[(٤)].

● الوهم وأثره في ضبط المتن

ضعف المتن له أسباب متعددة ، وإذا كان الوضع والتقول على رسول الله ﷺ يمثل جانبًا كبيرًا ، فإن الوهم والخطأ ، وضعف التحمل مع قصور الأداء له دور

---

(١) الذهبي ، الميزان (٣٣٤/٢).
(٢) المصدر السابق (٤٨٨/١ ، ٤٨٩).
(٣) المصدر السابق (٥٨٤/١).
(٤) الذهبي ، التاريخ (٤٤٥/٢٦).

كبير في نشأة الاضطراب في الرواية ، والخطأ في متن الحديث الشريف ، ولذلك فالحافظ الذهبي رحمه الله يهتم بأثر قصور التحمل في ضبط الرواية ، ومن ضوابط ذلك :

أ- الاهتمام بعمر المتعلم وقت السماع : فقال في ترجمة عبد الله ابن الحافظ الحسن الخلال : « سماعه من الكتاني في الخامسة ، ومن هذا الحين أخذ الطلبة في تسميع أولادهم في سن الحضور ، ففسد النظام ؛ بل الإجازة أجود من الحضور في القوة ؛ إذ من سمع حضوراً بلا فهم لم يتحمل شيئًا »[١].

ب ـ الاهتمام بطريقة التحمل : فالحافظ الذهبي يرى السماع أفضل طرق التحمل ، لا سيما إذا اقترن بيقظة الشيخ وانتباه الطالب ، ولكنه رحمه الله يرى السماع دون مقابلة للمسموع سماعًا قاصرًا ، فيقول : « ومن التساهل : السماع دون مقابلة ، فإن كان كثير الغلط لم يجز ، وإن جوزنا ذلك ، فيصح فيما صح من الغلط ، دون المغلوط ، وإن ندر الغلط فمحتمل ، لكن لا يجوز له فيما بعد أن يحدث من أصل شيخه »[٢].

وكذلك يرى الحافظ الذهبي الإسراع في القراءة على الشيخ أو منه سببًا في خفاء بعض الألفاظ ، من ثَمَّ كثرة الأوهام ، ويرى الإجازة خير من سماع قاصر ، فيقول : « وقد تسمح الناس في هذه الأعصار بالإسراع المذموم الذي يخفى معه بعض الألفاظ ، والسماع هكذا لا ميزة له على الإجازة بل الإجازة صدق ، وقولك : سمعت أو قرأت هذا الجزء كله مع التمتمة ودمج بعض الكلمات كذب »[٣].

وكذلك يرى الحافظ الذهبي التوسع في المناولة والابتعاد عن القراءة على الشيخ أو السماع من لفظه مظنة الوهم والخطأ ، فقال : « وكان ابن جريج يروي الرواية بالإجازة وبالمناولة ويتوسع في ذلك ، ومن ثَمَّ دخل عليه الداخل في رواياته عن الزهري ؛ لأنه حمل عنه مناولة ، وهذه الأشياء يدخلها التصحيف ، لا سيما في ذلك العصر ، لم يكن حدث في الخط بَعْد شكلٌ ولا نقط »[٤].

---

(١) الذهبي ، السير (٣٦٩/١).
(٢) الذهبي ، الموقظة ص٦٤ .
(٣) الذهبي ، السابق ص٦٧ .
(٤) الذهبي ، السير (٣٣١/٦).

جـ ـ **الاهتمام بطرق الأداء** : الاهتمام بطرق التحمل يقصد به الوصول إلى سلامة الأداء والضبط في تبليغ ما تحمل الراوي ، ولذا كان الاهتمام بطرق الأداء يسير جنبًا إلى جنب مع الاعتناء بصور التحمل .

فالإمام معمر من الثقات الأثبات ، ومع ذلك يرى الذهبي أن طريقة أدائه تسببت له في بعض الأوهام ، قال الذهبي : « فله أوهام ، لا سيما لما قدم البصرة لزيارة أمه ؛ فإنه لم يكن معه كتبه ، فحدث من حفظه ، فوقع للبصريين عنه أغاليط ، وحديث هشام وعبد الرزاق عنه أصح ؛ لأنهم أخذوا من كتبه »[(١)].

وقد روي علي بن وهب من حفظه ، من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : « **ليس على منتهب ولا مختلس ولا خائن تطع** »، قال الذهبي :« غريب جدًّا مع عدالة رواته ، فلا تنبغي الرواية إلا من كتاب ، فإني أرى ابن وهب مع حفظه وهم فيه »[(٢)].

وعلل الحافظ الذهبي ما وقع فيه لخليلي من أوهام في كتابه بعدم الإتقان وقت الأداء ، فقال :« وللخليلي أوهام كثيرة في كتابه ، كأنه أملاه من حفظه »[(٣)].

ويتحدث الذهبي عن الإتقان كشرط من شروط التحمل والأداء : إتقان يشمل المتحمل ، والمؤدي ، والكتاب ، وجعل الإجازة مثالاً على ذلك قال : « فمتى فقد ضبط الكتاب المجاز وإتقانه وتحريره ، أو إتقان المجيز ، أو المجاز له انحط المروي عن رتبة الاحتجاج به ، ومتى فقدت الصفات كلها لم تصح الرواية عند الجمهور »[(٤)].

● **تحليل بعض الأوهام في المتن**

الوهم في الحديث الشريف الغير متعمد ، يحدث من الراوي دون قصد ، وهو ناشئ عن قلة الإتقان إما في التحمل أو الأداء ، أو في التساهل في النسخ التي يروى منها أو عنها ، ولعل بعضه ناشئ عن سبق قلم ، أوتبادر الذهن إلى ما يشبه المتن الصحيح ، أو قطع بعض الحديث عن السياق أو غير ذلك .

---

(١) الذهبي ، السير (١٢/٧).
(٢) المصدر السابق (٤٨٨/١٥ ، ٤٨٩).
(٣) المصدر السابق (٣٧٧/١٣).
(٤) المصدر السابق (١٩٠/٧ ، ١٩١).

فقد جاءت بعض الروايات بأن ولد النبي ﷺ قبل حادث الفيل بثلاثين أو أربعين عامًا ، قال الذهبي : «لا أبعد أن الغلط وقع من هنا على من قال ثلاثين أو أربعين عامًا ، فكأنه أراد أن يقول يومًا فقال عامًا»[١].

ومن ذلك ما روي «أن زينب بنت النبي ﷺ أسلمت قبل زوجها أبي العاص بسنة ، ثم أسلم أبو العاص . . . » ، قال الذهبي : «هذا باطل ، ولعله أراد هاجرت قبله بسنة ، وإلا فهي أسلمت قبل الهجرة بمدة»[٢].

وهكذا تحول ذكر الهجرة إلى الإسلام في هذه الرواية ، كما اختلط اليوم بالعام في الرواية السابقة ، وبذلك يحل الإشكال ، ويتضح سبب الخطأ .

ومن ذلك ما رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «عبدت الله مع رسول ﷺ سبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة» ، قال الذهبي : «وهذا باطل ؛ لأن النبي ﷺ من أول ما أوحي إليه آمن به خديجة وأبو بكر وبلال ، وزيد مع علي ، قبله بساعات ، وعبدوا الله مع نبيه ، فأين السبع سنين؟! ولعل السمع أخطأ ، فيكون أمير المؤمنين قال : عبدت الله ولي سبع سنين ، ولم يبضط الراوي ما سمع»[٣].

وروى أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن خيثمة قال :«أُتي خالد بن الوليد برجل معه زق خمر فقال : اللهم اجعله عسلاً فصار عسلاً» ، وقد أشار الذهبي إلى رواية يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش ، وذكر «خلاً» بدل «عسلاً» ثم قال : «وهذا أشبه»[٤].

فالخمر يتحول إلى الخل لا إلى العسل ، وهناك فارق في المعنى وتشابه في الرسم .

ومن ذلك ما روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبى ـ كما ذكر ابن منده ـ أصيب أنفه يوم أحد ، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفًا من ذهب».

قال الذهبي : «والأشبه في ذلك ما روي عن عائشة عن عبد الله بن عبد الله ابن أُبَي أنه قال : «ندرت ثنيتي فأمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ ثنية من ذهب»[٥]

---

(١) الذهبي ، التاريخ (٢٧/١).
(٢) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٧٤١/٣).
(٣) المصدر السابق (١٢١/٣).
(٤) الذهبي ، السير (٣٧٦/١).
(٥) المصدر السابق (٣٢٢/١).

فقد انتقلت الثنية إلى الأنف ، وذلك من العجائب ، إذ كيف يتخذ عبد الله أنفًا من ذهب؟!».

ومن ذلك ما روي أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين ، فقال : «**من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما ، كان معي في درجتي يوم القيامة**» ، قال الذهبي : «هذا حديث منكر جدًّا ... وما في رواة الخبر إلا ثقة ، ما خلا علي ابن جعفر ، فلعله لم يضبط لفظ الحديث ، وما كان النبي ﷺ من حبه وبث فضيلة الحسنين ليجعل كل من أحبه في درجته في الجنة ، فلعله قال : فهو معي في الجنة»[(١)].

ومن ذلك انتقال أحداث وقعت في غزوة إلى غزوة أخرى ، كما روي من فعل صفية رضي الله عنها في غزوة الخندق وقتلها اليهودي ، ولكن بعض الروايات جاء يثبت الحدث ، وهو صحيح ، إلى غزوة أحد ، وهذا خطأ ، قال الذهبي : «يوم أحد وهم»[(٢)].

ومن ذلك ما روي أن رسول الله ﷺ كسا عليًّا عمامة يقال لها السحاب فأقبل وهي عليه ، فقال عليه السلام : «**ها علي قد أقبل في السحاب**» يقصد العمامة ولكن القوم اقتطعوا جزءًا من الحديث وقالوا : «**عليٌّ في السحاب**»[(٣)].

ومن ذلك ما ينشأ عن سبق القلم ، وتدل عليه الدلائل ، ومن ذلك ما روي أن أبا منصور الخياط بلغ عدد من أقرأهم من العميان سبعين ألفًا ، قال الذهبي : «هذا مستحيل ، والظاهر أنه أراد أن يكتب نفسًا فسبقه القلم فخط ألفًا ، ومن لقن القرآن لسبعين ضريرًا فقد عمل خيرًا كثيرًا»[(٤)].

ومن ذلك ما روي : «كان أبو حنيفة يختم القرآن في كل ليلة» ، قال الذهبي : «هذه حكاية غريبة ، والمحفوظ . . . هذا أبو حنيفة لا ينام الليل»[(٥)] فتحول قيام الليل إلى ختم القرآن لاشتراكهما في التعبد ، ولكون القرآن مما يحيا به الليل .

---

(١) الذهبي ، السير (١٢/١٣٥).
(٢) المصدر السابق (٢/٥٢٢).
(٣) الذهبي ، التاريخ (١٣/٣٨٩).
(٤) الذهبي ، السير (١٩/٢٢٣).
(٥) الذهبي ، مناقب الإمام أبي حنيفة ص ٢١ .

● **توهيم الثقات في المتون**

الثقة من الرواة بشر يصيب ويخطئ ، يحفظ وينسى ، ينشط ويكسل ، ولكنه ظهر على غالب رواياته الضبط والإتقان ، والتثبت والحفظ ، فحكم عليه بغالب حاله ، وتجنب النقاد ما جاءت روايته فيه على الوهم والخطأ .

والثقة إذ لم يكن معصومًا ، فإن الوهم والغلط القليل النادر لا يخرجه عن كونه من الثقات الأثبات ، وإنما يحكم بوهمه في تلك الرواية بعينها دون الصدوف عن بقية مروياته .

فقد روى يحيى بن آدم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا : « إذا حدثتم عني حديثًا تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوا به ، قلته أو لم أقله ، فإني أقول ما يعرف ولا ينكر ، وإذا حدثتم عني حديثًا تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به ، قلته أو لم أقله ، فإني لا أقول ما ينكر » ، وقد ضعفه ابن خزيمة وأنكر ذلك على يحيى بن آدم ، قال الذهبي : « حديث منكر . . . والثقة قد يغلط »[١] .

وروى ابن عدي من حديث ابن عمر : « **اغسلوا قتلاكم** » ، قال الذهبي : « غريب جدًا ورواته ثقات ، وهذا محمول على من قتل في غير مصاف . . . والثقة قد يهم »[٢] .

ويكون الراوي قد حدث له وهم فحدث بالسند لمتن آخر ، على الخطأ فيظن أن ذلك السند النظيف قد أخطأ بعض رواته بالإتيان بالمتن الضعيف ، بينما الأمر لا يعدو خطأ بعض الرواة المتأخرين لذلك الحديث بالفصل بين جزئيه .

فقد روى ابن بطة من حديث أنس : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » ، قال الخطيب : « هذا باطل ، والحمل فيه على ابن بطة » ، قال الذهبي : « فيجوز أن يكون غلط فيه ، وقفز من سندٍ إلى متن آخر لقلة إتقانه لا أنه تعمد وضعه »[٣] .

وروى إسرائيل من حديث أبي موسى الأشعري : « أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر إلى الحبشة » ، قال الذهبي : « ويظهر لي أن إسرائيل وهم فيه ،

---

(١) الذهبي ، السير (٩/٥٢٤ ، ٥٢٥).
(٢) المصدر السابق (٦/٣٣٧ ، ٣٣٨).
(٣) الذهبي ، الميزان (٢٧/١٤٥ ، ١٤٦).

ودخل عليه حديث في حديث ، وإلا أين كان أبو موسى الأشعري في ذلك الوقت»[١].

وقد ينسب الوهم إلى الثقة إن لم يتنبه إلى صنيع المدلسين الذين يسقطون الضعفاء من الأسانيد ، ويوهمون اتصال السند إلى ذلك الراوي الثقة ، فيلصقون الوهم بمن هو منه براء .

وربما قوى حال ذلك الثقة فألصق الضعف بذلك المدلس ، ومن ذلك ما رواه بقية بن الوليد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس مرفوعًا : «**من أدمن على حاجبيه بالمشط عوفي من الوباء**» ، قال الذهبي : «وهذا من نسخة كتبناها بهذا الإسناد ، كلها موضوعة ، يشبه أن يكون بقية سمعه من إنسان واهٍ عن ابن جريج ، فدلس عنه والتصق به»[٢].

وقد يكون الراوي صدوقًا ، مأمون الجانب ، ولكن بعض الأشقياء يحاول أن يدخل عليه ما ليس من مروياته ، وقد كان كثير من النقاد يقومون ببعض ذلك على سبيل امتحان الرواة ، وابتلاء ضبطهم ، ولكن هناك من تعمد ذلك ، حتى يعرف المتن المراد تمريره برواية الثقات المشهورين ، ومعلوم أن ذلك لا يحل . ولا يقع ذلك إلا إن كان الشيخ غير منتبه وقت القراءة عليه ، أو لم يكن ممن يحفظ أصوله أن يزاد فيها بليل .

فقد حدث أبو الفوارس ابن السندي من حديث أبي بكر ﷺ قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : **النظرة إلى وجه علي عبادة**» ، قال الذهبي : «فهذا أدخل على أبي الفوارس»[٣].

ويتضح كيف أراد ذلك الوضاع الذي أدخل الحديث عليه أن يحكم ما أراد من إثبات فضائل علي ، فجعل ذلك من رواية الصديق ، حتى يظن به ﷺ وبرأه من إفك الكاذبين أنه علم أن عليًا خيرًا منه ومع ذلك غصب حقه في الخلافة ، ألا لعنة الله على الظالمين .

---

(١) الذهبي ، التاريخ (١/١٩٢).
(٢) الذهبي ، الميزان (١/٣٣٣).
(٣) الذهبي ، السير (١٥/٥٤٢).

● **من مظاهر الوهم في متن الحديث الشريف**

الوهم في الحديث الشريف تختلف أسبابه وتتعدد مظاهره ، ومن مظاهر الوهم في رواية الحديث الشريف من جهة المتن ما يلي :

١- **رفع الموقوف :** ربما يصح الحديث عن صحابي أو تابعي ، فيدخل الوهم على أحد الرواة ، فيرفعه إلى النبي ﷺ ، على طريق الخطأ .

وفارق بين المرفوع والموقوف ؛ إذ المرفوع يحمل ملامح التشريع ، وعدم الاختلاف على المصدر ، بينما يقف الموقوف بين أخذ ورد ، ومناقشة لأقران من قال به ، فالصحابة فيما بينهم إذا اختلفوا أو التابعون ، فيظل الاجتهاد لمعرفة من أصاب الحق منهم ، وذلك بقرائن منها : العمر وعدد الموافقين له ، وعلاقته المباشرة بالمتن ، ومصدر فهمه لذلك القول .

أما الحديث المرفوع الثابت فقد برئ من الاختلاف ، أو الاحتكام إلى الدلائل والقرائن وسلم من معارضات الآخرين ، فرسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا حقًا ؛ لذلك كان رفع الرواة للحديث الموقوف من مظاهر الوهم في دلالة لفظ الحديث الشريف .

ومن ذلك حديث محمد بن جعفر غندر : حدثنا شعبة من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا : « لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها ، وهي لا تستغني عنه » ، قال الذهبي : « والمحفوظ حديث غندر عنه ـ أي شعبة ـ موقوفًا »[(١)].

ومن ذلك ما رواه إسماعيل بن أمية من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا : « **ما ألقى البحر أو جزر عنه فكلوه ، ومامات وطفا فلا تأكلوه** » ، قال ابن الجوزي : « إسماعيل بن أمية متروك » .

قال الذهبي : « بل ثقة باتفاق ، لكن الصحيح وقفه »[(٢)].

ومن ذلك ما رواه أحمد بن عبد المؤمن المروزي من حديث أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ : ﴿ **ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ** ﴾ (آل عمران: ٢٠٠) ، قال : **اصبروا على**

---

(١) الذهبي ، المستدرك (١٩٣/٤).

(٢) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٢٩١/٢) ، تحقيق مصطفى أبو الغيط . دار الوطن . ط . ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

الصلوات ، وصابروا على قتال عدوكم ، ورابطوا في سبيل الله لعلكم تفلحون» ، قال الذهبي : «وهذا باطل رفعه»[١].

وروى سويد : حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعًا : «كل مال ، وإن كان تحت سبع أرضين تؤدى زكاته فليس بكنز ، وكل مال لا تؤدى زكاته وإن كان ظاهرًا فهو كنز» ، قال الذهبي : «الصواب موقوف»[٢].

ومن ذلك ما رواه أشعث عن محمد ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه مكان كل يومٍ مسكينًا**» ، قال الذهبي : «الصحيح موقوف»[٣].

وروي من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا : «**إن من الحنطة خمرًا ، ومن الشعير خمرًا ، ومن الزبيب خمرًا ، ومن العسل خمرًا ، وأنا أنهى عن كل مسكر**» ، قال الذهبي : «رواه أيضًا جماعة عن الشعبي ، عن ابن عمر ، عن عمر قوله ، وهذا هو المعروف»[٤].

ومن ذلك ما رواه نعيم بن حماد من حديث أبي بكر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «**في خمس من الإبل شاة**» وذكر صدقة الإبل ، قال الذهبي : «وصوابه من قول الصديق»[٥].

ومن ذلك ما رواه أبو حذافة المدني : حدثنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ : «**العلم ثلاثة : آية محكمة ، وسنة قائمة ، ولا أدري**» ، قال الذهبي : «فهذا مما نقم على أبي حذافة أحمد بن إسماعيل ، وصوابه موقوف ، من قول ابن عمر»[٦].

وروى عمرو بن عبد الغفار الفقيمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «**أميران وليسا بأميرين : المرأة تحيض قبل طواف الزيارة ، فليس لأصحابها أن ينفروا حتى يستأمروها ، والرجل يشيع الجنازة ، فليس له أن يرجع حتى يستأمر أهلها**» ، قال الذهبي : «هذا المتن قد جاء من قول أبي هريرة قوله»[٧].

---

(١) الذهبي ، الميزان (٣/٤٧٦ ، ٤٧٧).
(٢) المصدر السابق (٢/٢٥٢).
(٣) المصدر السابق (١/٢٦٥).
(٤) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (٤/١٣٧٠).
(٥) الذهبي ، السير (١٠/٦٠٦ ، ٦٠٧).
(٦) المصدر السابق (١٥/٦١).
(٧) الذهبي ، الميزان (٣/٢٧٢ ، ٢٧٣).

ومن ذلك حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **جرير منا أهل البيت ، ظهرًا لبطن** ـ قالها ثلاثًا » ، قال الذهبي : « هذا منكر ، وصوابه من قول علي »[١].

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : « **حد الساحر ضربة بالسيف** » ، قال الذهبي : « والصحيح أنه من قول جندب »[٢].

٢- **الزيادة غير الثابتة :** قد يروى الحديث عن رسول الله ﷺ صحيحًا ، غير أن بعض الرواة يتفرد بزيادة في متن ذلك الحديث لا أصله ، فيقبل أصل الحديث دون تلك الزيادة .

من ذلك حديث ظفر بن محمد الحذاء من رواية عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قلنا : « يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال : **عائشة** : قلنا : من الرجال؟ قال : **أبوها** . فقالت فاطمة : لم أرك قلت في عليٍّ شيئًا! قال : **إن عليًا نفسي ، هل رأيت أحدًا يقول في نفسه شيئًا؟** » ، قال الذهبي : « فهذه الزيادة موضوعة ، والآفة من ظفر أو من شيخه »[٣]. فالحديث محفوظ دون قول فاطمة رضي الله عنها .

وروى روح بن مسافر ، من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما مرفوعًا : « **الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، وجهال أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوبًا** » ، قال الذهبي : « فكلمة جهال منكرة »[٤].

وجاء من حديث سعيد بن عبد الله الدهان ، حدثنا مالك ، عن سمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة بحديث : « **انسفر قطعة من العذاب . . .** » إلى أن قال : « **فليعجل إلى أهله وليتخذ لهم هدية ، ولو لم يجد إلا حجرًا** »، قال الذهبي : « فزاد فيه : « **وليتخذ لهم هدية** » فهذا كذب ملصق بالحديث »[٥].

وقد روى عبد القدوس حديث عتق سلمان ﷺ بزيادات انتقدها الحافظ الذهبي قائلاً : « وأما هو فسمَّن الحديث فأفسده ، وذكر مكة والحجر وأن هناك بساتين ، وخبط في مواضع »[٦].

---

(١) الذهبي ، السير (٢/٥٣٤).
(٢) الذهبي ، الكبائر ص٤٦ .
(٣) الذهبي ، الميزان (٢/٣٤٩).
(٤) المصدر السابق (٢/٦١).
(٥) المصدر السابق (٢/١٤٧).
(٦) الذهبي ، السير (١/٥٣٤).

ومن ذلك ما رواه يحيى بن أبي الحجاج من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : «سمعت رسول الله ﷺ على هذا المنبر ـ يعني المدينة ـ يقول : **من جاء منكم الجمعة وبكّر فليغتسل**» ، قال الذهبي : «يحيى صدوق ، «وبكّر» زيادة غريبة»[١].

وقد روى بدعة بن عبد الرحيم المروزي من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ صلى في كسوف في صفة زمزم . . . الحديث ، قال الذهبي : «قوله : «في صفة زمزم» زيادة منكرة ، وإنما صلى عليه السلام الكسوف مرة بالمدينة»[٢] وذكر مخالفة راويها لما عليه الرواة .

ومن ذلك رواية موسى بن يعقوب من حديث علي في غزوة بدر : «بينما أنا أمتح من قليب بدر إذ جاءت ريح شديدة لم أر مثلها ثم ذهبت ، ثم جاءت ريح شديدة كالتي قلبها ، فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألف من الملائكة . . . فلما هزم الله أعداءه حملني رسول الله ﷺ على فرسه . . . فلما استويت عليها طعنت بيدي هذه في القوم حتى اختضب هذا ، وأشار إلى إبطه» ، قال الذهبي : «غريب ، وموسى فيه ضعف ، وقوله : «حملني على فرسه» لا يعلم إلا من هذا الوجه»[٣].

وروي عن عائشة رضي الله عنها : «أتاني رسول الله ﷺ ببرنس فيه تمثال عقاب ، فوضع رسول الله ﷺ يده عليه فأذهبه الله» ، قال الذهبي : «هذه الزيادة منقطعة»[٤].

وروى بقية عن يونس ، عن الزهري من حديث ابن عمر مرفوعًا : «**من أدرك ركعة من الجمعة وتكبيرتها فقط فقد أدرك الصلاة**» ، قال الذهبي : «فهذا منكر ، وإنما يروي الثقات عن الزهري بعض هذا ، بدون ذكر الجمعة ، ودون قوله : «وتكبيرتها فقط»»[٥].

---

(١) الذهبي ، مهذب السنن [٢/ق١٠٠-أ]
(٢) الذهبي ، الميزان (٢/٦٨٥).
(٣) الذهبي ، التاريخ (٢/٨٦ ، ٨٧).
(٤) المصدر السابق (١/٣٥٥).
(٥) الذهبي ، السير (٨/٥٢٦ ، ٥٢٧).

ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاث مرات ، وليستعذ بالله من الشيطان ، ولا يذكرها لأحد ، فإنه لن يضره** » ، قال الذهبي : « هذا حديث حسن غريب ، وأصله محفوظ عن النبي ﷺ ، ولكن بدل « **لا يذكرها** » « **ليتحول عن جنبه الذي كان عليه** » »[١].

٣- **التصحيف** : أخذ العلم عن الصحف وتحمل الرواية وجادة من مظان الوهم والخطأ ، فمن أخذ عن الشيوخ أتقن الرواية ، وضبط الألفاظ ، إن أخطأ صوبوا خطأه ، وإن أغلق عليه معنى بينوه له ، أما من كانت الصحيفة شيخه ، والكتاب معلمه فأنى له ذلك ولهذا كان الرواة الذين أخذوا عن الصحف أكثر عرضة للوهم والخطأ ، وقد سمي بعض هذه الأوهام باسم الصحف فقيل له التصحيف ، أي الخطأ الناشئ عن أخذ العلم من الصحف .

ومن ذلك ما رواه حجاج الأعور من حديث أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « **من مات مريضًا مات شهيدًا ، ووقي فتنة القبر ، وغُدِيَ عليه وريح برزقه من الجنة** » ، قال الذهبي : « لعله مرابطًا بدل مريضًا »[٢].

وقد حدث عبد الرزاق من حديث أبي هريرة ﷺ : « العجماء جرحها جبار والمعدن جبار ، والنار جبار ، وفي الركاز الخمس » ، قال أحمد : « النار جبار ليس بشيء ، ولم يكن في الكتب ، باطل ليس هو بصحيح »[٣].

قال الذهبي : « أظنها تصحفت عليهم ، فإن « النار » قد تكتب « النير » على الإمالة ؛ بياء على هيئة « البير » فوقع التصحيف »[٤]، وهو ما أيده ابن حجر قائلاً : « ويؤيده أيضًا أنه وقع عند أحمد من حديث جابر بلفظ « والجب جبار » »[٥].

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (١٠٦٠/٣ ، ١٠٦١). (٢) الذهبي ، السير (٤٥٢/٨، ٤٥٣).
(٣) الدارقطني ، السنن (١٥٣/٣). (٤) الذهبي ، السير (٥٦٨/٩، ٥٦٩).
(٥) ابن حجر ، الفتح (٢٦٧/١٢).

وجاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « أن النبي ﷺ كان يستقبل الركن بمحجنه ويقبل الحجر » ، قال الذهبي : « كذا في كتابي : « ويقبل الحجر ، وصوابه : المحجن »[١].

ومن ذلك جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ كفن في قطيفة حمراء» ، قال الذهبي : « وهذا باطل ، وكأنها : دُفن ، تصحيف : كُفن »[٢].

ومن ذلك ما جاء من حديث الوليد بن عقبة ، قال : « لما فتح رسول الله ﷺ مكة جعل أهل مكة يأتون بصبيانهم ، فيمسح رسول الله ﷺ على رءوسهم ويدعو لهم ، فخرج بي أبي إليه ، وإني مطيب بالخلوق ، فلم يمسح على رأسي ، ولم يمسني ولم يمنعه من ذلك إلا أن أمي خلقتني بالخلوق فلم يمسني من أجل الخلوق» ، قال الذهبي : « أبوه كان قد قتل كافرًا ، فلعله أمي ، وكان الوليد أخا عثمان لأمه »[٣].

ومن ذلك حديث الجمل الذي شكا إلى رسول الله ﷺ ، وفيه : « قالوا : هو لك يا رسول الله ، قال : أما لي ، فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله ، فقال المسلمون عند ذلك ، يا رسول الله ، نحن أحق بالسجود لك من البهائم . قال : **لا ينبغي لشيء أن يسجد لشيء ، ولو كان ذلك كان النساء لأزواجهن**» ، قال الذهبي : « رواه يونس بن بكير ، عن إسماعيل ، وعنده : « **لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر** » وهو أصح »[٤].

ومن ذلك حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه قال :« ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي وَجِع ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زرّ الحجلة » ، قال الذهبي : « ووهم من قال : رزّ الحجلة ، وهو بيضها »[٥].

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (٢/٤٣٦).
(٢) الذهبي ، الميزان (٤/٤٢).
(٣) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٣/١٠٧).
(٤) الذهبي ، التاريخ (١/٣٤٦).
(٥) المصدر السابق (١/٤٣١).

٤- **الإدراج** : من الأوهام المشتهرة في متن الحديث الشريف إدراج بعض أقوال الرواة في متن الحديث الشريف ، وإلصاقه بالمتن ، وكأنه جزء منه ، والإدراج ناشئ عن الخطأ ، في عدم فصل كلام الراوي وتمييزه عن قول النبي ﷺ .

وغالبًا ما يقع الإدراج من زيادة الراوي أول الحديث أو وسطه أو آخره كلامًا لنفسه أو غيره ، فيرويه من بعده متصلاً بالحديث ، فيتوهم القارئ أو السامع أنه من الحديث ويكون ذلك عندما يحاول بعض الرواة شرح الحديث أو بيان معناه ، وقد تحذف أداة التفسير على جهة الاختصار ، فيحدث الخلل ، ويتسرب اللفظ المدرج إلى متن الحديث الشريف .

ومن ذلك ما حدث به محمد بن بكر البرساني عن عبد الحميد بن جعفر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن بسرة بنت صفوان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من مسَّ ذكره أو أنثييه أو رفغه فليتوضأ** » ، والمحفوظ من ذلك ذكر الذكر فحسب ، أما الأنثيين والرفغ فقال الذهبي : « هذه زيادة من قول عروة »[(١)] ، أدرجه بعض الرواة في الحديث ، ولعله البرساني هذا .

ومن ذلك ما جاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فارقها والله عنه راضٍ ، وهو دين الله الذي جاءت به الرسل ، وبلغوه عن ربهم قبل مرج الأحاديث واختلاف الأهواء ، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿ **فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ** ﴾ (التوبة:٥) » ، قال الذهبي : « صدر الخبر مرفوع ، وسائره مدرج فيما أرى »[(٢)] .

٥- **الوهم في ذكر أعلام المتن** : من مظاهر الوهم في متن الحديث الشريف الخطأ في ذكر أعلام متن الحديث الشريف ، مع خلاف الروايات الثابتة لذلك الوهم فينسب الفعل إلى غير فاعله ، والقول إلى غير قائله ، ولكن نقاد الحديث والأثر لتلك الأوهام بالمرصاد ، يدفعون ذلك باعتبار الصحيح في كل باب .

---

(١) الذهبي ، الميزان (٣/٤٩٢). (٢) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٢/٣٦٢).

ومن ذلك ما ذكره الشعبي : « استخلف النبي ﷺ عمرو بن أم مكتوم يؤم الناس ، وكان ضريرًا ، وذلك في غزوة تبوك » ، قال الذهبي : « كذا قال ، والمحفوظ أن النبي ﷺ إنما استعمل على المدينة عامئذٍ علي بن أبي طالب »[١].

وروى علي بن عبد الرحمن السبيعي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « أطعم النبي ﷺ على صفية بنت حُيي خبزًا ولحمًا »، قال الذهبي :« غلط إنما ذي زينب »[٢] أما صفية فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم صنع لها حيسًا في نطع .

ومن ذلك ما جاء في بعض طرق حديث العنبر ، عن جابر أن أميرهم كان قيس بن سعد . قال الذهبي : « وإنما المحفوظ أبوعبيدة »[٣].

وذكر ابن منده أن المربد الذي اتخذه النبي ﷺ لبناء المسجد كان لسهل وسهيل ابني بيضاء ، وغلطه الحافظ الذهبي معتمدًا رواية ابن إسحاق أنهما ابني عمرو ، ثم قال : « إنما ابنا بيضاء من المهاجرين »[٤].

ومن ذلك ما جاء عن ابن سعد : حدثنا عارم ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن ابن سيرين « أن عثمان جمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار ، فيهم أُبَي بن كعب ، وزيد بن ثابت في جمع القرآن » ، قال الذهبي : « ما أحسب أن عثمان ندب للمصحف أُبيًّا ، ولو كان كذلك لاشتهر ، ولكان الذكر لأُبي ، لا لزيد ، والظاهر وفاة أُبي في زمن عمر »[٥].

ومن ذلك ما روي عن ابن عباس في جنازة أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها : « هذه ميمونة ، إذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها ، فإن رسول الله ﷺ كان عنده تسع نسوة ، كان يقسم لثمان ، وواحدة لم يكن يقسم لها » . قال عطاء : هي صفية .

ولم يأخذ الذهبي رحمه الله بهذه الرواية عن ابن عباس ، ولا بقول عطاء لما علم من الروايات الثابتة التي تعارض ذلك فقال : « بل التي لم يقسم لها سودة »[٦].

---

(١) الذهبي ، السير (١/٣٦١).
(٢) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٤/٣٠).
(٣) الذهبي ، السير (٣/١٠٤).
(٤) الذهبي ، التاريخ (٢/٣٠).
(٥) الذهبي ، السير (١/٤٠٠).
(٦) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٤/٣٥).

● **من درجات تضعيف المتن**

للثقات درجات ، وللضعفاء منازل ، وتختلف درجة كل راوٍ في فئته ، وكذلك الحكم على متن الحديث الشريف له درجات مختلفة ، وليس الحكم على المتن الضعيف له درجة واحدة ، فالحديث المردود منه الضعيف ثم الغريب ، فالمنكر ثم الباطل والكذب والموضوع ، فلكل منزلته ، فهناك ضعف لا يقبل المناقشة ، ولا يصلح بنفسه ولا بمتابعة غيره ، كما أن هناك ضعف ينجبر بمتابعة أو شاهد ، أو يحدث به في بعض الأبواب كالملاحم والتفسير والفضائل .

ومن هنا كان الحافظ الذهبي ، يزن المتون بميزان قسط ، ويحكم عليها بمعيار عدل .

وقد حكم ابن عدي على ماروي عن أبي هريرة مرفوعًا : «**الوضوء من البول مرة مرة ، ومن الغائط مرتين مرتين ، ومن الجنابة ثلاثًا ثلاثًا**» بالنكارة ، ولكن الذهبي يرى أن ذلك تعدى درجة النكارة إلى البطلان فقال : «بل باطل»[١] .

ومن ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : «أن رسول الله ﷺ قال في مرضه : **ادعو لي أخي** ، فدعي له أبو بكر فأعرض عنه ، ثم قال : **ادعو لي أخي** ، فدعي له عمر فأعرض عنه . ثم قال : **ادعو لي أخي** . فدعي له عثمان فأعرض عنه . ثم دعي له علي ، فستره بثوبه وأكب عليه ، فلما خرج من عنده قيل له : ما قال؟ قال : علمني ألف باب ، كل باب يفتح ألف باب» ، حكم الذهبي عليه بالنكارة ثم ازداد استنكاره ، فقال : «كأنه موضوع»[٢] .

ومن ذلك حديث عثمان لطلحة : «نشدتك الله أما تعلم أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم ونحن جلوس ، فوقف علينا ، فقال : ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه ووليه في الدنيا والآخرة ، فأخذت أنت بيد فلان ، وأخذ رسول الله ﷺ بيدي ، فقال طلحة : اللهم نعم» .

---

(١) الذهبي ، الميزان (٣/٢٨٣).

(٢) الذهبي ، السير (٨/٢٤).

ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، واعترض الذهبي بأن درجة الحديث لا تنحط لمستوى الموضوع فقال : « هذا الحديث في عداد الأحاديث الضعيفة ، لا الموضوعة »[١].

وكذا حديث : « **مثل الذي يحج من أمتي عن أمتي كمثل أم موسى كانت ترضعه ، وتأخذ الأجرة من فرعون** » ، أورده ابن الجوزي في الموضوعات ، قال الذهبي : « هذا إسناد صالح ومتن غريب ، لا يليق إيراده في الموضوعات »[٢].

وأخرج الترمذي من حديث فايد عن بن أبي أوفى ، عن النبي ﷺ قال : « **من كانت له حاجة فليتوضأ ويصلي ركعتين ويثني على الله ، ويصلي على نبيه ، وليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم . . .** » الحديث أورده ابن الجوزي أيضًا في الموضوعات ، وقال الذهبي : « ما هو موضوع ؛ بل يحتمل »[٣].

وروى إبراهيم بن موسى المروزي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعًا : « طلب العلم فريضة . . . » قال أحمد : هذا كذب .

وقد حمل الحافظ الذهبي ذلك القول على ذلك الإسناد ، لا على أصل المتن ، وإلا فالمتن أقوى من ذلك بكثير فقال : « يعني بهذا الإسناد ، وإلا فالمتن له طرق ضعيفة »[٤].

● **من عبارات الذهبي في الحكم على متن الحديث**

الحافظ الذهبي ناقد منصف ، لا يرتجل الأحكام ، ولا يستخدم عبارة ثابتة في الحكم على المتون الضعيفة ، ليصدر على كل متن ما يليق به ، ومن ذلك .

١- « لا يصح »

ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا : « **من حج من مكة ماشيًا حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، الحسنة بمائة ألف** » .

---

(١) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص٩٦ رقم٢٦٢ . (٢) المصدر السابق ص١٨٧ رقم٦٠٥.
(٣) المصدر السابق ص١٦٦ رقم٥٢٠ . (٤) الذهبي ، الميزان (٦٩/١).

قال الذهبي : «هذا ليس بصحيح» فالله غني عن ذلك ، ولماذا المشقة ، والله تعالى أخبر أنه ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة:١٨٥) وأن ميزان قبول الأعمال وكتابة الحسنات التقوى لا المشقة ، فرب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش .

ومن ذلك رواية بشر بن الحسين الأصبهاني من حديث أنس ﷺ مرفوعًا : «**من حول خاتمه أو عمامته ، أو علّق خيطًا ليذكره ، فقد أشرك بالله ، إن الله هو يذكر الحاجات**» ، قال الذهبي : «لا يصح منها شيء»[١] فما علاقة الشرك بمحاولة الإنسان أن يتذكر شيئًا ما؟! ولذلك حكم الذهبي بعدم صحته .

ومن ذلك ما روي «أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له : **إذا كان الشتاء فصل الفجر في أول وقتها ، ثم أطل القراءة ، وإذا كان الصيف فأسفر بالصبح ، فإن الليل قصير ، والناس ينامون**» ، قال الذهبي : «مثل هذا لا يصح»[٢] .

ومن ذلك حديث أبي أمامة مرفوعًا : «أربع آيات أنزلت من تحت العرش ، لم ينزل «منهن»[٣] شيء غيرهن : أم الكتاب ، وآية الكرسي ، وخاتمة البقرة ، والكوثر» ، قال الذهبي : «لم يصح»[٤] .

ومن ذلك حديث العباس بن مرداس السلمي : «أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء ، فأوحى الله إليه : قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضًا ، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها . فقال : يا رب ، إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيرًا من مظلمته وتغفر لهذا الظالم . فلم يجبه تلك العشية ، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء ، فأجابه الله : إني قد غفرت لهم . فتبسم ررسول الله ﷺ . . . » الحديث ، قال الذهبي : «هذا لم يثبت»[٥] ، إذ هو مدعاة لمن سلب الحقوق ، أو انتهك الأعراض ، وسفك الدماء ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وضيع الأمانات إلى غير ذلك من حقوق الآدميين ألا يتحلل ممن ظلمه ، أو يرد الحقوق إلى ذويها ؛ بل يكفي في ذلك وقوفه يوم عرفة .

---

(١) الذهبي ، الميزان (١/٣١٥ ، ٣١٦).
(٢) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٢/٤٤).
(٣) كذا ، ولعله «منه» .
(٤) الذهبي ، العلو ص١٠٨ .
(٥) الذهبي ، مهذب السنن [٣/ق٤٢-أ] .

ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها : «مات رسول الله ﷺ من ذات الجنب» ، قال الذهبي : «لم يصح»[١] إذ لو صح ذلك لنقل ، بل ولتواتر ، ولكن عدم نقل ذلك نقل كافة من العدول الثقات الأثبات يوحي بعدم صحته .

٢- مشكل :

يروى عن النبي ﷺ الحديث الصحيح ، ثم يأتي متن آخر بإسناد صحيح يعارضه ، فيستشكل النقاد ذلك المتن لصحة إسناده ، فلو كان ضعيف الإسناد لردوه ، ولكن صحة إسناده واحتمال تأويله تجعل صفة الإشكال ، والأخذ والرد عليه .

ومن ذلك حديث عمر رضي الله عنه : «**الميت يعذب ببكاء أهله عليه**» عارضته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ (الأنعام:١٦٤) وبأن ذلك كان في شأن امرأة يهودية التي تعذب بالكفر ، وأهلها يبكون ولا يدرون ما يصنع بها .

ورأى الشافعي رواية أم المؤمنين عائشة أشبه بدلالة الكتاب والسنة ، وأما المزني ، فحمل ذلك على من أوصى بالبكاء عليهم والنياحة حال الموت ، فتلك معصية ، فمن أمر بها فعملت بأمره أثم ، كما لو أوصى بطاعة أجر .

غير أن الحافظ الذهبي يرى إشكالاً في ذلك الحديث ، وهو يرى رواية عائشة وفهم المزني تقييداً لعموم النص الذي يمكن تأويله دون تعارض أو تقييد .

قال الحافظ الذهبي : «قول النبي ﷺ عام محفوظ في الموصي وغير الموصي ، وفي الذمي والمسلم ، وما أبدته أم المؤمنين من عذاب اليهودية لا ينفي ما حفظ غيرها . والحديث مشكل وإسناده ثابت من وجوه» .

ثم ذكر أحد التأويلات له فقال : «وبعضهم يقول : يكون عذاب الميت بذات النوح ، وبذات الصراخ ، لا أنه يعذب بعذاب الله الذي هو عذاب القبر ؛ بل يحصل له ألم وتعذيب نفسي وانزعاج بأصوتهم»[٢] ، ولعل ذلك الألم لما يراه الميت من حال أبنائه وذويه من بعده ، وكيف صارت أوضاعهم حزنًا عليه .

---

(١) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٤/٤٤٩). (٢) الذهبي ، مهذب السنن [٢/ق٢٣٣-ب].

٣- غريب :

قد تستغرب المتون لتفرد الضعفاء بها من جهة ، ولكون المتن يخالف ما أتت به الشريعة الغراء ، وعلم من مبادئ الدين الحنيف .

فمن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا : « **يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط** ».

وهو حديث يدفع إلى الهروب من الحكم بين الناس وتعطيل ذلك الشرع ، وإذا لم يقم بذلك أحد تحولت الحياة إلى شريعة الغاب وسلطان القوة ، بل الحاكم العادل مأجور في حكمه إن أصاب ، مغفور له إن أخطأ ما لم يتعمد ، قال الذهبي : « غريب جدًّا »[(١)].

ومن ذلك حديث جابر عن النبي ﷺ :« **ما أنفق الرجل على أهله ونفسه فهو صدقة ، وما أنفق من نفقة فعلى الله خلفها إلا ما كان في بنيان أو معصية** » ، قال الذهبي : « غريب جدًّا »[(٢)].

والمستغرب من ذلك ذكر البنيان ، وكأنه يحض على عدم البنيان والإعمار في الأرض .

ومن ذلك حديث أنس : « **كل بني آدم حسود ، وبعض الناس أفضل في الحسد من بعض ، ولا يضر حاسدًا حسده ما لم يتكلم بلسانه أو يعمل باليد** » ، قال الذهبي : « حديث غريب منكر »[(٣)].

فهو يقر تلك الصفة الذميمة ، والإسلام يدعو إلى محاربتها وتزكية النفس منها ، لا أن يجعل ذلك فطرة فطرها الله ، وجبل القلوب عليها ، تعالى الله عن ذلك .

وروى من حديث أنس بن مالك مرفوعًا : « **خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ** ، قالوا : يا رسول الله ، وما الخفيف الحاذ ؟ قال : **الذي لا أهل له ولا ولد** » .

---

(١) الذهبي ، السير (١٨/١٧٠). (٢) الذهبي ، السير (١١/٤١٩)، والميزان (٢/٢٥٠).
(٣) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (٤/١٠٤٢).

قال الذهبي : «غريب جدًا»[١] فالنبي ﷺ يدعو إلى التناسل والتكاثر وإلى إعمار الأمة بالذرية الصالحة ، ويحذر من خطر العزوبة على أمن وسلامة المجتمع ، والاستقرار النفسي والاجتماعي للفرد .

وروي من حديث أنس مرفوعًا : «**ألم أنهك أن تخبأ شيئًا لغدٍ ، فإن الله يأتي برزق غد**» ، قال الذهبي : «غريب»[٢].

فهذا المتن يدعو إلى عدم الحزم ، وثبت أن النبي ﷺ كان يدخر طعام عامه من التمر وغيره ، وكذلك الصحابة ، وليس في ذلك ضعفًا في التوكل .

ومن ذلك حديث زيد بن أرقم ﷺ مرفوعًا : «**من حج عن أبويه ولم يحجا جزأ عنهما وعنه ، ونشرت أرواحهما في السماء ، وكتب عند الله برًّا**» .

قال الذهبي : «غريب»[٣] فالمعروف أن من يريد أن يحج عن غيره يجب عليه أن يحج أولاً ثم يحج بعد ذلك عن الغير ، كما جاء في حديث : «**حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة**» .

٤- منكر :

يستنكر الحديث لتفرد الضعيف به ؛ ونكارة متنه وبعده عن المعلوم من الدين ، ومخالفة الأصول ، وعدم مشابهة ذلك لقول النبي ﷺ .

ومن ذلك ما روي عن ابن عمر مرفوعًا : «**إذا أمسك الرجل الرجل وقتله آخر يقتل القاتل ، ويحبس الذي أمسك**» ، قال الذهبي : «هذا حديث منكر ، لعله من قول ابن عمر»[٤]. وذلك المتن يشبه كلام الفقهاء وفتاوى العلماء .

ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو : «أن رسول الله ﷺ قام يوم فتح مكة فقال : **لا يتوارث أهل ملتين ، والمرأة ترث من دية زوجها وماله ، وهو يرث من ديتها ومالها ما لم يقتل أحدهما الآخر عمدًا ، فإنه لا يرثه ، وإن قتل صاحبه خطأ ورث من ماله ولم يرث من ديته**» .

---

(١) الذهبي ، السير (١٣/١٤).
(٢) المصدر السابق (٩/٥١).
(٣) الذهبي ، التاريخ (١٣/١٨٤).
(٤) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٩/٢٧٥).

قال الذهبي : « والخبر منكر »[١] ، وذلك المتن كسابقه يشبه ألفاظ الفقهاء .

ومن ذلك ما روي من حديث أنس ﷺ مرفوعًا : « **أكثر أهل الجنة البلـه** » ، قال الذهبي : « حديث منكر »[٢].

والحديث فيه ما فيه من الترغيب في إغفال العقل الذي هو مناط التكليف ، وجعل هؤلاء المسلوبى العقول أكثر أهل الجنة .

ومن ذلك حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا : « **ما أتاكم من خير عني قلته أو لم أقله فأنا أقوله ، وما آتاكم من شر فإني لا أقول الشر** » ، قال الذهبي : « هذا منكر بمرة »[٣] ، وفيه الدعوة إلى العمل بالاستحسان وإلى عدم التمييز بين قول النبي ﷺ وقول كل أحد .

ومن ذلك ما روي في فضائل أمير المؤمنين عمر ﷺ ، من حديث أُبي ابن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **أول من يصافحه الحق عمر ، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة** » ، قال الذهبي : « هذا منكر جدًّا »[٤].

وجاء في فضائل آل البيت من حديث أنس ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : « **وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم** » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي قائلاً : « بل منكر لم يصح »[٥] ، وفيه رفع الحساب عن آل البيت إلا الشهادتين ، وذلك مناف لعمومية أحكام ذلك الدين ، وعدم المحاباة في الجزاء .

وعلى النقيض روي في ذم بعض الأجناس من حديث ابن عمر مرفوعًا : « **لا تساكنوا الأنباط في بلادهم ، ولا تناكحوا الخوز ، فإن لهم أصولاً تدعوهم إلى غير الوفاء** » ، قال الذهبي : « هذا منكر جدًّا »[٦].

---

(١) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٨/٢١٨ ، ٢١٩).
(٢) الذهبي ، التاريخ (١٣/٢٠٢).
(٣) الذهبي ، السير (٧/٤٣٨).
(٤) الذهبي ، الميزان (٢/١٢).
(٥) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٣/١٦٣).
(٦) الذهبي ، السير (٨/٥٢٨).

وفي ذم بعض القبائل روي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا : «اللهم أذل قيسًا ؛ فإن ذلها عز للإسلام» ، قال الذهبي : «هذا منكر جدًّا»[١] بل لعله موضوع وضعه أعداء هذه القبيلة ومنافسوها .

ولم تسلم المهن المختلفة من محاولة التقليل من شأنها ، وذم أربابها ، فقد روي من حديث أبي هريرة مرفوعًا : «**رب يمين لا يصعد إلى الله في هذه البقعة ، فرأيت فيها النحاسين**» .

قال الذهبي : «حديث منكر»[٢].

٥- باطل :

وقد تزيد نكارة الحديث ، فيقطع الناقد له بالبطلان ، وأنه تعدى مراحل الضعف إلى مرتبة عدم التصديق ، ومن احتمال الصحة الضعيف إلى استحالة كون ذلك الحديث صادرًا من النبي ﷺ .

فمن ذلك ما روي : «**يؤم القوم أحسنهم وجهًا**» ، قال الذهبي : «هذا باطل»[٣]. وذلك أن الإمامة إنما تكون لأكثر القوم حفظًا وتلاوة ثم سنًّا ، ثم أنداهم صوتًا ، ولا علاقة لجمال الوجه ، فالله لا ينظر إلى الصور ، وإنما يطلع على القلوب .

ومن ذلك ما روي من حديث أنس مرفوعًا : «**من رفع يديه في التكبير فلا صلاة له**» .

قال الذهبي : «هذا باطل»[٤] ، والمتن ينادي بأن صانعه أحد متعصبي الأحناف ممن لا يرون رفع الأيدي .

وروي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «**الناس أكفاء ، قبيلة لقبيلة ، وعربي لعربي ، ومولى لمولى ، إلا حائك أو حجام**».

---

(١) الذهبي ، الميزان (٤/٤٠٢). (٢) الذهبي ، العلو ص٦٣ .

(٣) الذهبي ، مختصر الأباطيل للجوزقاني ص١٠٤. (٤) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٢/١٧٨).

قال الذهبي : «هذا باطل»[١] ، ويشهد المتن ببطلانه ؛ إذ فيه تحقير لبعض المهن ، والنبي ﷺ يحث على العمل أيًا كان ما دام يكف يد الإنسان عن السؤال ، ويحفظ ماء وجهه .

ومن ذلك ما روى عيسى بن شعيب بسنده إلى النبي ﷺ : «**قدس العدس على لسان سبعين نبيًا**» ، قال الذهبي : «هذا باطل»[٢]. وقد ذكر ابن القيم أن أقوال الأطباء بخلاف ذلك ، وأن الإكثار منه يحدث الاضطرابات بالقولون ، كما أنه شهوة اليهود .

وحدث عمر بن مدرك الرازي من حديث ابن عباس : ﴿ **عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا** ﴾ (الإسراء:٧٩) ، قال : «يقعده على العرش».

قال الذهبي : «هذا مشهور من قول مجاهد ، ويروى مرفوعًا ، وهو باطل»[٣]، تعالى الله عن ذلك ، فذلك حديث من لم يقدر الله حق قدره ، ويشبهه بخلقه ، ويجعل لله جهة وحيزًا ، تبارك الله عما يقول المشبهة .

ومن ذلك حديث حفصة رضي الله عنها مرفوعًا : «**يا حفصة ألا أبشرك؟ قالت : بلى . قال : يلي الأمر بعدي أبو بكر ثم أبوك ، اكتمي عني**» ، قال الذهبي : «هذا باطل»[٤] إذ كانت خلافه الصديق عن شورى بين المسلمين ، وكان ترجيح أمره ، لما كان له من المنزلة عند رسول الله ﷺ ولسابقته في الإسلام إلى غير ذلك ، وكانت خلافة عمر ﷺ عن استخلاف أبي بكر له ورضا المسلمين عن ذلك .

ومن حديث ميمونة رضي الله عنها : «بعثني النبي ﷺ بقمح إلى فاطمة لتطحنه ، ثم ردني إليها فوجدتها قائمة والرحى تدور ، فأخبرت النبي ﷺ فقال : **إن الله علم ضعف أمته ، فأوحى إلى الرحى أن تدرو فدارت**» .

قال الذهبي : «هذا باطل»[٥] وفاطمة الزهراء قد أغناها الله أن تبث فضائلها بمثل هذه الأباطيل .

---

(١) الذهبي ، تنقيح التحقيق ٢/١٨١رقم ٦٠١ .
(٢) الذهبي ، التاريخ (١٣/٣٣٠).
(٣) الذهبي ، العلو ص١٣١ .
(٤) الذهبي ، الميزان (٤/٢٠١).
(٥) الذهبي ، الميزان (٣/٤٦٨).

٦- كذب :

قد يحدث الرواة بالحديث الباطل عن غير عمد ، أو على سبيل الوهم ؛ ولكن البطلان قد تزداد حدته ، فلا يكون هناك مجال للخطأ ، ويدخل ذلك في حيز التعمد .

ومن ذلك ما روي من حديث جابر مرفوعًا : « **إذا فسدت البلدان ، فنعم المسكن كرمان** » ، قال الذهبي : « هذا منكر بين »[١] .

وكذلك ما روي من حديث عمرو بن مرة الجهني مرفوعًا : « **من لم يكن له حسنة يرجوها فلينكح امرأة من جهينة** » ، قال الذهبي : « هذا كذب »[٢] ، وذلك لعلاقته بالعصبية القبلية ، أو للبلدان ، فكل من تعصب لبلده وقبيلته ، وقل ورعه أتى بالأعاجيب .

ومن أسمج الكذب ما يروى من حديث ابن عباس مرفوعًا : « **أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئبًا ، فقلت : أذئب في الجنة؟ قال : إني أكلت ابن شرطي** . . . » الحديث ؛ ولذلك قال الذهبي : « هذا كذب »[٣] ولعل من صنع ذلك قد اصطلى بلظى ظلمة الشرطة ، الذين لا يخلو عصر من تجاوزات كثير منهم .

ومن ذلك ما روي من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا : « **إن الله خلق الفرس فعرقت ، ثم خلق نفسه منها** » ، قال الذهبي : « هذا كذب لا يدخل في عقل المجانين لاستحالته » .

وفي حرب التفضيل الطاحنة بين أنصار علي ومعاوية رضي الله عنهما روي من حديث ابن عباس مرفوعًا :« **لو أن الغياض أقلام ، والبحر مداد ، والجن حُسَّاب ، والإنس كُتَّاب ما أحصوا فضائل علي** »، قال الذهبي : « هذا كذب »[٤] .

وفي المقابل روي من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « **الأمناء ثلاثة : أنا وجبرائيل ومعاوية** » ، قال الذهبي : « وهذا كذب »[٥] .

---

(١) الذهبي ، الميزان (٣/٥٨٥).
(٢) المصدر السابق (٢/٣٤٨).
(٣) المصدر السابق (٣/٢٥٨ ، ٢٥٩).
(٤) المصدر السابق (٣/٤٦٦).
(٥) المصدر السابق (١/٥٠٣).

وكذلك قام أنصار عثمان ﷺ باختلاق ذلك المتن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا : « يا عثمان ، تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة ، فتقع من دمك على ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة:١٣٧) وتبعث يوم القيامة أميرًا على كل مخذول ، يغبطك أهل المشرق والمغرب ، وتشفع في عدد ربيعة ومضر » ، قال الذهبي : « كذب بحت »[١].

٧- موضوع :

يتيقن الناقد من كون الحديث موضوعًا على رسول الله ﷺ وتثبت عنده قرائن ذلك لما يحتف بالمتن من علاقة برواته .

فمن ذلك ما يكون في مدح أشخاص ، كما روي في فضائل علي ﷺ ، وحكم عليه الذهبي بالوضع : « **النظر إلى علي عبادة** »[٢] ، وكذلك : « **أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب** »[٣] ، وكذلك : « **إن ربي عهد إليَّ في علي عهدًا ، فقال : علي راية الهدى ، ومنار الإيمان ، وإمام أوليائي . . . يا أبا برزة ، علي أميني غدًا على حوضي ، وصاحب لوائي ، وثقتي على مفاتيح خزائن جنة ربي** »[٤].

وفي فضائل عمر : « **أول من يعانقه الحق يوم القيامة عمر ، وأول من يصافحه الحق يوم القيامة عمر ، وأول من يؤخذ بيده فينطلق به إلى الجنة عمر** ﷺ »[٥].

وفي فضائل معاوية : « **الأمناء عند الله ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية** »[٦].

ومنه ما يكون في مدح فرقة من الفرق ، فمما وضع لأجل الشيعة : « **النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس** »[٧].

---

(١) الذهبي ، تلخيص المستدرك (١١٠/٣).
(٢) المصدر السابق (١٥٢/٣).
(٣) المصدر السابق (١٣٧/٣).
(٤) الذهبي ، الميزان (٣٥٦/٤ ، ٣٥٧).
(٥) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٩٠/٣).
(٦) الذهبي ، التاريخ (٢٦٨/٢٠).
(٧) الذهبي ، تلخيص المستدرك (١٦٢/٣).

ومما وضع للعباسيين : « **إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريدًا وتشريدًا في البلاد ، حتى ترتفع رايات سود من المشرق ، فيسألون الحق فلا يعطونه ، ثم يسألونه فلا يعطونه ، ثم يسألونه فلا يعطونه ، فيقاتلون فينصرون ، فمن أدركه منكم فليأت إمام أهل بيتي . . .** »[١].

ومنه ما يكون نصرة لآراء فقهية أو حربًا عليها ، ومن ذلك وجوب الجهر بالبسملة « **كان رسول الله ﷺ يجهر بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم** »[٢].

وكذلك في مناهضة أهل الرأي : « **لا تقوم الساعة حتى يقولوا بآرائهم ، ولا يعولون على ما روي عني** »[٣].

ومنه الترغيب في حرفة ، ومن ذلك : « **عمل الأبرار من أمتي الخياطة** »[٤].

ومنه الترغيب في سلعة ، ومنه : « **كلوا التمر على الريق ، فإنه يقتل الدود** »[٥].

ومنه الترغيب في العمل الصالح عن طريق المبالغة ، ومن ذلك : « **من كفن ميتًا فإن له بكل شعرة تصيب كفنه عشر حسنات** »[٦] ، وكذلك : « **من كسح مسجدًا فكأنما غزا معي أربعمائة غزوة ، وكأنما حج مائة حجة** »[٧].

ومن ذلك الزندقة ، ومنه : « **رأيت ربي على جمل أحمر عليه إزاران ، فإذا كان ليلة مزدلفة لم يصعد إلى السماء** » ، قال الذهبي : « قبح الله زنديقًا وضعه »[٨].

---

(١) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٥١١/٤).

(٢) الذهبي ، مختصر الجهر بالبسملة ص١٦٨ ، تحقيق جاسم سليمان الدوسري ، الدار السلفية بالكويت . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٣) الذهبي ، الميزان (٢٧١/٣).

(٤) المصدر السابق (٢١٧/٢).

(٥) الذهبي ، التاريخ (٣٠٨/١٣).

(٦) الذهبي ، الميزان (٥٥٤/٤).

(٧) المصدر السابق (٥٩٨/٣).

(٨) الذهبي ، مختصر الأباطيل والموضوعات ص٦٥.

ومن ذلك نصرة الوضاعين ، فقد روي من حديث علي ﷺ مرفوعًا : « **إذا كتبتم الحديث فاكتبوه بإسناده ، فإن يكن حقًا كنتم شركاء في الأجر ، وإن كان باطلاً كان وزره عليه** »[١].

● **بين احتمالية الوضع وجلائه**

الحكم على المتن بالوضع أو الكذب يحتاج إلى شيء من التروي ، والتأكد قبل نسبة ذلك القول إلى الوضع أو الكذب ، وذلك لا بد له من ميزان قسط ومقياس عدل ، فربما تأكد الناقد من نسبة ذلك المتن إلى أحد الكذابين ، فعندئذٍ يحكم عليه بالوضع ، وربما تردد الحافظ ، وربما كان الوضع أشد جلاءً من نور الشمس ، وصورة القمر ليلة التمام .

فالحافظ الذهبي ربما تردد في الحكم بالوضع على الحديث ، فيعبر عن ذلك بعبارات مثل : كأنه موضوع ، وشبه موضوع على غير ذلك من عبارات احتمالية الوضع لا التأكيد عليه .

ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف خرج رجل من الحصن واحتمل رجلاً من الصحابة ليدخله الحصن ، فقال النبي ﷺ : **من يستنقذه وله الجنة؟** فقام العباس فمضى . فقال : **امض ومعك جبرائيل وميكائيل** »[٢].

ومن ذلك حديث عبد الله بن عمرو : « **من شرب الخمر لم تقبل له صلاة سبعًا ، فإن مات فيهن مات كافرًا ، وإن هي أذهبت عقله عن شيء من القرآن لم تقبل له صلاة أربعين يومًا ، وإن مات فيهن مات كافرًا** »[٣].

ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « نظر رسول الله ﷺ إلى علي فقال : « **أنت سيد في الدنيا ، سيد في الآخرة ، حبيبك حبيبي ، وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي ، وعدوي عدو الله ، فالويل لمن أبغضك بعدي** »[٤].

---

(١) الذهبي ، الميزان (٤/٩٨).
(٢) المصدر السابق (٣/٥٠٤).
(٣) الذهبي ، السير (٦/١٣٢).
(٤) المصدر السابق (٩/٥٧٤ ، ٥٧٥).

ومنه حديث ابن عمر مرفوعًا : « **إذا كان للرجل ألف وعليه ألف ، فلا زكاة عليه** »[١].

ومن ذلك حديث جابر ﷺ قال : « قال عمر بن الخطاب ذات يوم لأبي بكر الصديق : يا خير الناس بعد رسول الله ﷺ . فقال أبو بكر : أما إنك إن قلت ذاك ، فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : **ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر** »[٢].

والذهبي رحمه الله يلجأ إلى ذلك الوصف إذا لم يتيقن له الحكم على الحديث بالوضع ، فإن تطرق الاحتمال عدم اليقين ، وإذا عدم اليقين ، فلا ينبغي إصدار الأحكام على الأحاديث جزافًا أو عدم مراعاة الخيوط الدقيقة والموازين المعتدلة في نقد متن الحديث الشريف .

وعلى الجانب الآخر ربما كان الكذب سمجًا والوضع قد فاق الحدود ، بحيث لا يحتاج بيانه إلى عرض الحديث على قوانين الرواية ، أو مرجحات المتون ، ولا يتوقف الحكم عليه بالوضع على مقاييس النقد ، فعندئذ لا يتردد الحافظ ، بل يحكم عليه بالوضع ويزيد حكمه تأكيدًا إلى تأكيد .

ومن ذلك حديث : « **من دعا بهذه الأسماء استجاب الله له : اللهم أنت حي لا تموت وخالق لا تغلب ، وبصير لا ترتاب ، وسميع لا تشك . . . فوالذي بعثني بالحق لو دعا بهذه الدعوات على صفائح الحديد لذابت ، وعلى ماء حار لسكن . . . ومن دعا عن مسائه به بعث بكل حرف منهما سبعمائة ألف ملك من الروحانيين ، يسبحون له ويستغفرون له . . .** » ، قال الذهبي : « وهو مما يشهد قلوب الجهال بوضعه فضلاً عن العقلاء »[٣].

ومنه حديث أبو هريرة ﷺ مرفوعًا : « **مر بي جبرائيل ببيت لحم ، فقال : انزل فصل ههنا ركعتين . . . ثم أتى بي الصخرة ، فقال : من هنا عرج ربك**

---

(١) الذهبي ، تنقيح التحقيق (١٦١/٥).

(٢) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٩٦/٣).

(٣) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص٢٨٠ رقم١٠٠٤ .

إلى السماء . . . » ، قال الذهبي : « وهذا شيء لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع ، فيكف البزل في هذا الشأن »[١].

ومن ذلك حديث علي ﷺ مرفوعًا :« **إن جبريل نزل فقال : استكتب معاوية ، فإنه أمين** » .

وحديث ابن عمر مرفوعًا : « **يا معاوية أنت مني وأنا منك ، لتزاحمني على باب الجنة** » .

ومن حديث جعفر : « **أنه أُهدي للنبي ﷺ سفرجل ، فأعطى معاوية منه ثلاثًا ، وقال : القني بهن في الجنة** » ، وقد أعلَّ الذهبي ذلك بأن جعفر استشهد قبل قدوم معاوية مسلمًا . ثم قال : « فهذه الأحاديث ظاهرة الوضع »[٢].

ومن ذلك حديث علي ﷺ : « أخبرني رسول الله ﷺ أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة ، والحسن والحسين ، قلت : يارسول الله ، فمحبونا ؟ قال : **من ورائكم** ».

قال الذهبي : « الحديث منكر من القول يشهد القلب بوضعه »[٣].

● معرفة الحديث الموضوع

الحديث الموضوع له دلائل ، ويعرف بقرائن ، بينها علماء نقد المتن ، وقد تقدم بعض هذه الدلائل عند الحافظ الذهبي ، غير أن قرينة الإسناد أقرب ، وربما أغنت عن اعتبار ذلك المتن أو البحث في روايات الباب لمعرفة ضعفه .

فالذهبي يرى وجود سلسلة الإسناد ناصعة كالشمس ثم يحمل ذلك الإسناد وهذا المتن أحد الضعفاء متفردًا بذلك عن الثقات في طبقته دليل إدانة لذلك المتن ، فقال : « وهذا شأن الموضوع ، يكون كل رواته ثقات سوى واحد »[٤].

ومن باب أولى إذا تداول الحديث جماعة من الهلكى وعرف بهم ، ودار في فلكهم فلايعرف إلا من رواياتهم . فقد روي من حديث جابر مرفوعًا : « **أكل الطين يورث النفاق** » .

قال الذهبي : « يشبه أن يكون موضوعًا ، تداوله قوم ليسوا بثقات »[٥].

---

(١) الذهبي ، الميزان (٣٤٥/١).
(٢) الذهبي ، السير (١٢٨/٣ ، ١٣١).
(٣) الذهبي ، الميزان (١٨٠/٣).
(٤) الذهبي ، تخليص المستدرك (٦٢/٣).
(٥) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (١٤٧٥/٤).

● حكم رواية الموضوعات

الحديث الموضوع ما ثبت بقواطع الأدلة زيف نسبته إلى رسول الله ﷺ وأن متخرصًا ادعى ذلك ترويجًا لباطل ، أو نصرة لمذهب ، أو نشرًا لضلال ، وربما ترغيبًا في طاعة إلى غير ذلك من أغراض الوضاعين وأهدافهم .

وظن البعض أن طي هذه الأحاديث أولى من نشرها ، ولكن المحدثين رأوا في ذكر هذه الأحاديث مع كشف عوارها وبيان تزييفها والتحذير منها كبير فائدة ، وكما قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر أعـ ـرفه ولكن أتقيه
ومن لا يعرف الشر حري أن يقع فيه

وحتى لا يأتي أحد الدجالين في بعض العصور ويدعي نسبة ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فيرد عليه المحدثون بأنهم يعرفون كذب ذلك ويعرفون شخص الكذاب ، بل ودوافعه .

ولذلك ذكر الحافظ الذهبي ، حديث : «**من حفظ على أمتي حديثًا واحدًا كان له أجر واحد وسبعين نبيًا صديقًا**» ، قال الذهبي : «هذا مما تحرم روايته إلا مقرونًا بأنه مكذوب»[(١)].

وروي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «لما خطب علي فاطمة . . . فبكت ثم قالت : كأنك ادخرتني لفقير قريش . . . » ، قال الذهبي : «ولم أرو هذا ونحوه إلا للتزييف والكشف»[(٢)].

وأكد الذهبي أن أئمة الحديث على التشديد في أحاديث الأحكام مع قليل الترخص في الفضائل والرقائق : «فيقبلون ما ضعف إسناده ، لا ما اتهم رواته ، فإن الأحاديث الموضوعة والأحاديث الشديدة الوهن لا يلتفتون إليها ؛ بل يروونها للتحذير منها والهتك لحالها»[(٣)].

وذكر الحافظ حديث ابن عباس :«**سبع أرضين ، في كل أرض نبي كنبيكم ، وآدم كآدمكم ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وعيسى كعيسى**» ، قال الذهبي : «وهذه بلية تحير السامع ، كتبتها استطرادًا للتعجب ، وهو من قبيل اسمع واسكت»[(٤)].

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (١٢٣٩/٤).
(٢) الذهبي ، العلو ص٢٩ ، ٣٠ .
(٣) الذهبي ، السير (٥٢٠/٨).
(٤) الذهبي ، العلو ص٧٥ .